الأسس الفلسفية للإدارة العامة،
قراءة في الفلسفة الأمريكية والفكر الإداري العالمي التقدمي.

سليمان الزيدانين (*)

ملخص

تَهدفُ الدِّراسة إلى التعمّق في فكر وفلسفة الإدارة العَامَّة كَضرورةٍ مُلحةٍ لبلورة مجتمعٍ منتجٍ وواعٍ، لا سيّما عند النَّظر بمنظارٍ فلسفيٍّ نافذٍ لمفاهيم الإدارة العصريَّة والتميّز، ومفاهيم الابتِكَار والرِّيادَة الإداريَّة. ففي عصرنا هذا، باتَ التَّقليد لِلأَفكار المُكرّرة والأَنظمة المُستهلكة أَمرًا باليًا، بل باتَ الواجب على الإنسان، ككائنٍ مفكّرٍ ومنتجٍ للمعرفة، أَن يبني نماذجَ إدارية مبتكرة، لا على أُسسٍ تقليديةٍ هشةٍ وضبابيةٍ ـ إشكاليَّة هذه الدِّراسة ـ بل على أُسسٍ فلسفيةٍ راسخةٍ وفهمٍ عميقٍ للواقع؛ وهذا ما يأَمله الباحث من هذه الدِّراسة، مُستخدمًا المنَّهج التَّحليلي النَّقدي المُقارن داخل الواقع الإداري العام. ويُعزّز موقف الباحث ما قدّمته الفلسفة الأَمريكيّة من تميّز جعل الولايات المتحدة في مقدمة الدُّول الرائِدة عالميًا؛ فقد اعتمدت على بناء فكرٍ متمازجٍ وتوفيقيٍّ بين مختلف الفلسفات العالميَّة، مُضفيةً عليه صبغةً فلسفيةً أَمريكيَّةً وطابعًا عمليًّا. وتُقدِّم هذه الدِّراسة رحلة فِكريَّة؛ لِتُشكِلَّ فهمًا فلسفيًّا مُتماسِكًا لِلإدارة العامَّة، يَنهل من مَغَارِس الفلسفة الأَمريكيَّة وفلاسفتها، ومن الفكر العالمي التَّقدُّمِي في مجالات الإدارة العامَّة، لنقول: إنَّها إدارة عامَّة ريادِيَّة وابتِكاريَّة بجانب المُعاصِرة؛ وهنا ننسب الإدارة العامَّة إلى الرِّيادة والابتِكار؛ لتكون ماثلة في كُلِّ الأَحوال والظُّروف داخل الرؤية الفلسفِيَّة للإدارة العامَّة. وتناولت الدِّراسة ثلاثة مباحث رئيسة شملت، الإدارة العامَّة: نهج براجماتِي لِتحقيق الحوكمة الفَاعِلة، ومفهوم السِّيَاق (The Context): الحلقة الحَاسِمَة بين المَفهُومين، التَّقليدي والمُعاصِر لِلإدارة العامَّة، والقيادة الأَخلاقيَّة لدى الموظَّف العام وحدة مشتركة بين الثَّقافات. وقدم الباحث خاطرته المعنونة: " تَأْوِيليَّة المقعد الخشبِيّ، وتَقوقعَّ الواقع الإدارِيّ العام "، ويُرمز إلى أَنَّ الواقع الإداري العام يتطلّب تأَويلًا دقيقًا للظواهر الإداريَّة، وذلك من خلال تحليلها من منظورٍ أَخلاقيٍّ وفلسفيٍّ شاملٍ. وجاءت النتائج لتعزز دور الفهم الفلسفيّ في رسم ومُمارسات الإدارة العامَّة كتخصص متعدّد

(*) مرشح الدكتوراه، الجامعة الأردنية.

المجالات، ويشدِّد الباحث على ضرورة الابتعاد عن الأُطر الجاهزة والتقليديَّة لِنماذج الإدارة، ويلتمس وجوبيَّة التَّكيف والفهم للسَّياقات المحلية ودمجها في رسم وممارسات الإدارة العامَّة.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الأَمريكيَّة، الإدارة العامة، السِّياق، البراجماتية(4P)، الابتِكار والرِّيادة، الحوكمة، القيَّادة الأَخلاقيَّة.

Abstract

This study delves into the philosophy of public administration, emphasizing the need for innovative and contextually relevant administrative models. It advocates for a critical and philosophical approach to governance, drawing inspiration from American philosophy's emphasis on pragmatism and adaptability., not on fragile and vague traditional foundations - the problematic aspect of this study - but on sound philosophical foundations and a deep understanding of reality. This is what the researcher hopes for from this study, using the analytical, critical, and comparative method within the public administrative reality.

This study presents an intellectual journey to form a coherent philosophical understanding of public administration, drawing from the wells of American philosophy and its philosophers, and from progressive global thought in the fields of public administration. To say: It is a pioneering and innovative public administration alongside the contemporary; Here we attribute public administration to entrepreneurship and innovation; To be similar in all circumstances and conditions within the philosophical vision of public administration.

This study explores three key areas in the development of public administration: Pragmatic Public Administration for Effective Governance, Context: The Bridge Between Traditional and Contemporary Public Administration. Ethical Leadership: A Universal Value for Public Servants. The researcher further contributes a thought-provoking thesis titled "A Hermeneutics of the Wooden Chair and the Encapsulation of the General Administrative Reality." This metaphorical title emphasizes the need for a nuanced and multifaceted understanding of administrative phenomena.

The results came to reinforce the role of philosophical understanding in shaping and practicing public administration as a multidisciplinary field. The researcher emphasizes the need to move away from ready-made and traditional management models and calls for the necessity of adapting and understanding local contexts and integrating them into the formulation and practices of public administration.

Keywords: American philosophy, public administration, context, pragma-tsm (4P), innovation and leadership, governance, ethical leadership.

المُقدّمة

تُعدّ الإدارة العامَّة مجالًا واسِعًا ومُتَعدِّد التَّخصُّصات، وتُلامِس مختلف مجالات العُلوم الاجتماعِيَّة، من علم الاجتماع وعلم النَّفس إلى علم الاقتِصاد والعُلوم السِّياسِيَّة ولِهذا، تُعتبر الإدارة العامَّة علمًا يُعنى بدراسة مبادِئ وأَساليب تنظيم وإدارة المُؤَسَّسات العامَّة لتحقيق أَهدافها بِكفاءةٍ وفَعَّاليَّةٍ. وإلى جانب كوْنِهَا علمًا، تُعدّ الإدارة العامَّة فنًّا يَتطلَّب مهاراتٍ وقُدراتٍ إبداعِيَّةً لِقيادة وتوجيه العمل وتحفيز المُوظَّفِين وإدارة الموارد بِكفاءةٍ؛ فإدارة النَّشاط الإنساني بِطبيعتِه له مُكوَّنٌ فنِّي يُشبه "الحِرفيَّة"، حيث تتطلَّب مهاراتٍ خاصَّة لِفهم سُلوكات الأَفراد وتحفيزهم وتكوين فرق عملٍ فعَّالةٍ. وتُمارس الإدارة العامَّة كمهنةٍ من خلال تولّي وظائفٍ إداريَّةٍ في مختلف المُؤَسَّسات العامَّة، بدأ من المستوى المحلّي وصولًا إلى المستوى الدَّولي، ويُقدِّم المُوظَّفون في مجال الإدارة العامَّة خدماتٍ أَساسيَّةٍ للمجتمع، مثل توفير الخدمات الصحيَّة والتَّعليميَّة والأَمنيَّة، وضمان تطبيق القوانيَّن واللَّوائِح، وتعزيز التَّنمية الاقتصادِيَّة والاجتماعِيَّة. ولا تقتصر الإدارة العامَّة على الجانب الفنِّي والمهني، بل تُشكِّلَ أَيضًا شكلًا من أَشكال الإنسانيَّة المُحمَّلة بالقيم، فعلى عاتق المسؤُولِين في مجال الإدارة العامَّة تقع مسؤولِيَّة اتِّخاذ قراراتٍ عادلةٍ تُراعي مصالح جميع أَفراد المجتمع، وتعزيز قيم مثل الشَّفافِيَّة والمُساءلة والمسؤولِيَّة الاجتماعِيَّة، ولهذا؛ تُعتبر الإدارة العامَّة علمًا وفنًا ومهنةً وقيمًا، وتتطلَّب مهاراتٍ وقُدراتٍ متنوّعةً من أَجل إدارة النَّشاط الإنساني وتحقيق التَّنمية المُستدامة [1].

إنَّ كُلَّ نظام أَساسيّ لِلإدارة العامَّة يحتوي على مادَّة غير قابلة للإلغاء، "الأَفكار الفلسفِيَّة" وتُسهم في دراسة الإدارة العامَّة، والتي تهتم بشكلٍ جوهريّ باتِّخاذ القرارات المُحمَّلة بالقيمة وتتطلَّب من صُنَّاع القرار مُمارسة الحكم والحكمة، ولا يتم ذلك إلَّا من

(1) Ongaro, Edoardo. (2020), Philosophy and Public Administration: An Introduction (Second Edition), Cheltenham:Edward Elgar Publishing,p294.

خلال جلب الفكر الفلسفي إلى مشهد أو صورة الإدارة العامَّة[١]، ولا يكمن الاهتمام فقط بمستوى الثِّقة التي يُوليها المواطنون لترتيبات الحوكمة العامَّة ورضا مستخدمي الخدمات العامَّة؛ ولكن علينا البحث بإطارٍ أوسع لِسدّ الفجوة بين الرِّضا والرَّفاهية، أو بمعنى آخر الوصول إلى تحقيق الاِستكمال والحياة الكاملة، وهي حُجَّة الصَّالح العام الأَساسِيَّة[٢].

ويُجادِل الباحث بِأَنَّ الإدارة العَامَّة ليست مُجرَّد مُؤسَّسة فَنِّيَّة أَو إِدَارِيَّة مُختزلة، ولَكِنَّها مُؤسَّسة فلسفِيَّة عَميقَة، مُتجذِّرة في الاعتبارات الأَخلاقِيَّة والسَّعي لِتحقيق الصَّالح العام، ويُحاوِل الباحِث إظهار ما اعترى الإدارة العَامَّة من أَزمة مفاهِيميَّة أَو أُطر معَرفِيَّة مِعيارِيَّة؛ جَعلتها هَياكِل مُتحجِّرة مَسلُوبة الرُّوح، وقُشور سطحية بِدُون لُبّ، ونَكهة غالِبَة فيها التَّخصُّصية السِّياسِيّة ومِعياريَّة الأَفكار الوضعِيَّة، وفي الأُسس الفلسفِيَّة لِلإدارة العامَّة؛ يُقدِّم الباحِث شُروحاتِه كَتحدِّي لِلأَساليب الفنِّيَّة الضَّيقة ويُشجِّع المُمارِسين على التَّفكِير في الآثار الأَخلاقِيَّة لِعملهم.

وسعياً من الباحث لإثراء دراسته وتقديمها بصياغة فكرية شاملة ومُعاصِرة، قام بإجراء خطوات جوهرية تضمنت التَّواصل مع رواد بارزين في مجال الإدارة العَامَّة وفلسفتها، منهم البروفسور رادشليدرز (Raadschelders) – أحد رواد الإدارة العَامَّة، ويشغل الآن منصب رئيس مشارك لتحرير مجلة Public Administration Review –، ومع رئيس الاتحاد الأَوروبي للإدارة العَامَّة والمهتم بفلسفة الإدارة العامة، السيد أَونجارور (Edoardo Ongaro) ، ومع الأستاذة(Patricia Shields) متخصصة في

---

(1) Ongaro, Edoardo(2021),Non-Western philosophies and public administration,Asia pacific Journal of Public administration,43(1)6-10,p6.

(2) Ongaro, Edoardo .(2019, June), Bringing philosophy into public administration: A research agenda. In TAD 14 The Disciplines and the Study of Public Administration: June 6-18 2018 .

الإدارة العَامَّة وتهتم بمنهجية البراجماتية داخل الإدارة العَامَّة، واطّلع على أبحاثهم ودراساتهم القيّمة التي أفادته بشكل كبير، وتضمنت هذه المراسلات نقاشًا ثريًا حول محاور الدِّراسَة، مِمَّا أَضفى عليها عمقًا فكريًا وأثراها بوجهات نظر ثاقبة، ومن حيث أَنَّها وسّعتُ آفاقه الفكرية من خلال النِّقاش مع الخبراء، واكتسب فهمًا أَعمق لمجال الإدارة العَامَّة، واكتشف وجهات نظر جديدة لم يكن قد أَخذها بعين الاعتبار.

ونَقِفُ على أَهمّ الأَفكار التي أَثَّرت وتفاعلت مع نَشْأَة الفلسفة الأَمريكيّة، تَأْرِيخيَّة وفهمًا لسِّياق هذه الأَفكار وكيف أَنَّها واءمت الهدف أَو الحُلم بالعالم الجديد، مُحاولةٌ في تَقْعِيد وتَجذِير موضُبوع البحث في الإدارة العامَّة مفهومًا نَحْو صَيرُورة الابتِكار والرِيّادة، فالعالم الذي استطاع أَن يُحقق من خلال الفكر والعناية به داخل دائرة التَّكوينات السِّياسية والاجتماعيَّة الخاصّبة به التّقدُّم والتَّميز؛ يَزْخر بدعائِم أَساسيَّات بحثنا عن مفهوم فلسفيّ للإدارة العامَّة ويُبعدُنا عن النَّمذجة والقوالب الجاهزة التي أَثَبتت عجزها عن المُواكبة والتّقدم وحفظ التَّوازنات الداخليَّة للمجتمع، ومفاهيم كالاعتماد على الذَّات وخصائص القائد العظيم وأَساليبه في الإقناع، وتغليب الصَّالح العام على المصلحة الشَّخصية وسُلطة المعرفة والمعلومات، بُذور فِكريّة نَمت في أَرضيّة الفلسفة الأَمريكيّة عُنِيت ونُضِجت؛ والدوَّر على الآخر فَهم وتحليل تِلك المفاهيم بما يتوافق وسياقاتها الاجتماعيَّة والسِّياسيّة والتَّحول من المُقلِّد إلى المُبتكر، والتّقديم النَّقديّ للواقع المُتأزِّم في تكويناتِه الإداريّة والتي على مساس مباشر بحركة الإنسان داخل بيئته.

المبحث الأوّل

الإدارة العامّة: نهج براجماتي لِتحقيق الحوكمة الفَاعِلة.

يُشكِّل هذا المبحث تماسًّا فِكريًّا بين الإدارة العامة والفلسفة الأَمريكيَّة في مجالها البراجماتِي، كنهج مُتعدِّد وتوفيقي بيَّن النّزعات الفكرِيَّة، وتبرز البراجماتِيَّة في الطَّرح المُعاصِر، نموذجًا قابلاً للحياة داخل الإدارة العامة؛ مُبتكرة الطُّرق والأَساليب للتَّعامل مع المواقف الإدارية، ومُتتبَّعة لِلعواقب ومُثريَّة العمل بالتَّجربة والتَّفحُّص بِما يتوافق والسِّياق الاجتماعي، وجاء هذا المبحث على النَّحو الآتي:

المطلب الأَوَّل: التَّربية عند جون ديوي وأُسس الارتِقاء بِالشخصِيَّة الإنسانيَّة.

المطلب الثَّانِي: البراجماتِيَّة الجديدة: إعادة صياغة العلاقة بين النَّظرِيَّة والتَّطبيق.

المطلب الثَّالِث: البراجماتِيَّة(4P): حاضِنَة الإدارة العامَّة مُتعدِّدة التَّخصُّصات.

المطلب الأول

التَّربية عند جون ديوي وأُسس الارتِقاء بِالشخصِيَّة الإنسانيَّة.

في خِضَم التَّغيُّرات المجتمعيَّة العميقة، نادى الفيلسوف الأَمرِيكيّ جون ديوي بِضرورة إِعادة بناء الفلسفة، وواجهت المفاهيم الفلسفِيَّة من قبيل ماهيَّة العقل والواقعيَّة والمثاليَّة، تحديات جديدة تتطلَّب إعادة تعريف. ورفض ديوي فكرة وجود "حقائق مطلقة" أَو "معرفة مقدَّسة"، فالمعرفة، حسب رأيه، تُكتسب من خلال التجربة ويتم التَّحقُّق من صحَّتها من خلال نتائجها العمليَّة، وشدَّد على أَهمِّيَّة النُّمو المستمر كسِمة أَساسيَّة للفلسفة وعلى ضرورة ربط الفلسفة بالواقع العملي ونبذ التَّأمُّلات المُجرَّدة، ورأى ديوي دورًا هامًّا للعقل في إدارة الواقع وتشكيل النِّظام الاجتماعي الجديد ونبذَ فكرة الثَّبات، ومُؤكِّداً على ديناميكيَّة الطَّبيعة ومرونتها. ودعا ديوي إلى تبنّي نظام اجتماعي ديمقراطي قائم على الحركة والتَّعدديَّة والمساواة [١].

---

[١] ديوي، جون، إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط١، (٢٠١٠) (أ)، صص: ٨-١٣.

والتَّربية حسب ديوي تأتي من منبعين، المدرسة والبيئة الاجتماعِيَّة، ويُوازن بين أَثر المدرسة وأَثر البيت وخاصَّة في بداية الطِّفل العمريَّة ويُؤكِّد أَنَّ أَثر البيت أَكبر وأَعمق من المدرسة، ومن بعدها يكون الأَثر التَّعليمي أَكبر فيما يتعلَّق بتنفيذ اتِّجاهات التَّفكير عند الأَفراد في فلسفاتهم

الاجتماعِيَّة وأَحكامهم، واهتم ديوي بالتَّربية من خلال الآثار التي تظهر في سلوك الإنسان، ويُركِّز على أَنَّ التَّعليم المدرسي التقليدي لا يُثقِّف من يتخرَّجون منه، إذا كان الهدف من الثَّقافة عدم الاقتصار على حفظ المعلومات الكثيرة بقدر استخدامها في التَّغلُّب على مُشكلات الحياة سواء الخاصَّة أَو العامَّة والتي تخدم المجتمع، ويتأَثَّر التَّعليم بالسِّياسة وهي بدورها تتأَثَّر بالتَّعليم الذي أَوجدته لِيُحافظ على كيانها، ويذكر جعفر عن ديوي : "أَنَّ ينصب اهتمام التَّربية باستمرار على جعل مناهجها وأَساليب تدريسها وجميع تصرُّفاتها مُتجهًا إِلى ضرورة جعل طُلَّابها يتزوَّدون بالمعرفة العلميَّة والاجتماعِيَّة السَّليمة؛ لِغرض رفع مستوى تفكيرهم وعواطفهم وسلوكهم ومسؤوليَّاتهم الاجتماعِيَّة؛ خدمة للمصلحة العامَّة"(جعفر،١٩٥٤، ص:٨٠)، وأَمَّا في صلة التَّربية بالمجتمع يضيف جعفر عن ديوي "أَنَّ حكومات الدُّول الدِّيمُقراطِيَّة أَو الدِّكتاتورِيَّة، مع الاختلاف في الأَهداف والوسائل؛ فالتَّربية وبخاصَّة التَّعليم المدرسي وسيلة لفرض مبادِئها العامَّة في الأَجيال المُتعاقبة لأَفراد المجتمع"(جعفر،١٩٥٤،ص:٨٤).

ويُؤكِّد ديوي على ضرورة الابتعاد عن خصائص التَّسرع والطَّيش الفكري عند النَّاشِئة في التَّربية؛ وهدفه صناعة جيل غير متسرِّع في إِصداره للأَحكام على قيم الأَشخاص والحوادث المُجتمعِيَّة والتي تفتقر للدِّقة، ونتيجة هذا التَّسرع تتَّسع حلقة المشكُلَّات داخل المجتمع وتبتعد التَّربية عن هدفها، ويضع ديوي مفهوم "التَّوازن السُّلوكي" حلًا لهذه المشكُلَّة المبني على النُّضج الفكري، ويعتبر ديوي التَّربية هي الوسيلة النَّاجحة التي تستطيع الإِصلاح بصورة جذريَّة وشاملة لكيان المجتمع وعلاقات أَفراده، وربط ديوي

المناصب الحكومِيَّة على اختلاف مستوياتها بالكفاءة والاختصاص والخلق الاجتماعي السَّليم؛ وسيلة لخدمة أَبناء المجتمع وتحقيق المصلحة العامَّة[١].

ويتحدث البار (٢٠١٦) عن ديوي قائلًا:" إِنَّ المعالم التَّربويَّة الجديدة التي رسم جون ديوي ملامحها، بعد ثورته على المفاهيم التَّربويَّة التَّقليدية، حينما غير مركز بناء القضايا التَّعليميَّة من المادَّة المعرفيَّة إِلى المُتعلِّم ذاته بِكل ما يملكه من مواهبٍ وميولاتٍ، وانتهى به المقام إِلى بلورة ما يعرف بالتَّربية التَّقدُّميّة التي شكُلَّت بمناهجها وأَهدافها ضرورة مُلحَّة وغاية منشودة لكُل إِصلاح تربوي"(ص:٩١).

ويُؤكِّد ديوي على أَسبقيَّة الواقع الاجتماعي على المفاهيم والفكر ومن الضَّروري تغيُّر الأَفكار والتَّصورات بما يتوافق وفرص الخروج وعدم المطابقة بين التَّصورات الفكرِيَّة والبيئة الاجتماعِيَّة، ومعظم مشاكلنا ناتجة، حسب ديوي عن الفصل بين ما هو مثالي وواقعي وبين العقل والخبرة والتَّأَثُّر بالمنطق الصُّوري ويجب علينا تغيير معنى المفاهيم وحتّى التَّصورات التي نمارسها وخاصَّة مفهوم الأَخلاق وتبنّي مفهوم التَّأويل في النُّصوص والتَّغيير في ضوء المعارف الجديدة.

ويُضيف ديوي قائلًا: "لا يمكن أَنَّ تتم عمليَّة إِعادة البناء بالبحث عن الآلِيَّات التي يتم بها تطوير المهارات الفِكريَّة والمناهج الصُّوريَّة على حساب المضمون الأَساسي"(ديوي،٢٠١٠(أ)، ص:١٨)، ومركزًا ديوي على الواقع الحالي والأَوضاع الاجتماعِيَّة الرَّاهنة وعدم التَّشبُّث بالأَفكار الفلسفِيَّة القديمة، وفي دراسة ديوي للعلاقة بين المعرفة والعمل؛ نجد أَنَّ نظريَّة القيمة عنده تُعد إِسهامًا في الفلسفة المُعاصِرة وخاصَّة الفلسفة الأَمريكيَّة ويُؤكِّد أَنَّ القيم تتحقَّق وهي دومًا في دور التَّكوين، ويُؤكِّد ديوي على ضرورة النُّزول إِلى الواقع ويصفه بأَنَّه متغيِّر ويُفهم بالخبرة والابتعاد عن الأَفكار المُتعالية الثَّابتة.

---

[١] جعفر، نوري، جون ديوي حياته وفلسفته، بغداد: مطبعة الزهراء،١٩٥٤، صص:٨٧-٩٤.

ويُركِّز ديوي على الشَّخصيَّة الإنسانيَّة والارتقاء بها من خلال البيئة الاجتماعِيَّة والمُؤَسَّسات التي تتعامل معها، والحياة الإنسانيَّة تُعبِّر عن سلسلة من الأَفعال التي يمكن ضبطها بالذَّكاء. والأَفعال أَو الوسائل عند ديوي مرتبطة بالإرادة التي تُشكِّل منظومة العادات التي تُعبِّر عن الاتِّجاهات والمُيول، ويُقيم ديوي الأَخلاق بارتباطها في النَّتائج المُترتِّبة على الأَفعال من جهة، ومن حيث أَنَّ النَّتائج تعتمد وترتبط عُضويّاً بالعادات الإنسانيَّة، التي هي تعاون بين الإنسان والبيئة والذَّكاء، والمشاكُلَّ الأخلاقية عند ديوي مرتبطة بالرَّغبة من جهة والذَّكاء من حيث أَنَّه وسيلة لِتشكيل هذه الرَّغبات، ويقول ديوي: "والعادات التي نُكوِّنها هي التي تُكوِن في مجموعها ذواتنا، أَي أَنَّ هذه العادات هي إِراداتنا بِكُل ما تحتويه هذه الكلمة من معنى، فالعادات تكون رغباتنا الفعَّالة، وتَمُدَّنا بقدراتنا وتتحكَّم في أَفكارنا وتُعبِّر عن نفسها في العمل كأَساليب مُؤثِّرة سائدة"(ديوي، ٢٠١٤(أ)، ص:٢).

وأَنزل ديوي الأَخلاق من عالمها المُتعالي المثالي البعيد إِلى عالمنا الواقعي القريب. ويأَتي مفهوم المُطاوعة عند ديوي لِلتأَثير على الصِّغار داخل بيئاتهم الاجتماعِيَّة؛ مِمَّا يصنع لديهم إِسهامًا في تطوير شخصيَّاتهم وانعكاسًا على التَّطور في المجتمع، ولكن بمفهوم المُطاوعة الإِيجابي الذي يتضمن العادة غير الجامدة أَو التقليد، وإِنَّما العادة المرتبطة بالتفكير، وديوي لا يريد أَنَّ يصنع آلات بشرِيَّة في مقابل إِنسان فعَّال ومُستمر في تحسين سُلوكه وانعكاسه على المجتمع وبيئته ومُطاوعة بأَسلوبٍ يصنع الذَّكاء والتَّكيُّف مع جوانب الحياة المحيطة بصورة المُتفاعل مع الوسط الاجتماعي[١] ويقول ديوي: "والتَّربية التَّقليدية تخضع الحاضر الحيّ لِمستقبلٍ بعيدٍ مُتغيِّر ونتيجة ذلك نقص في الإِعداد وفي التَّكيُّف وأَفراد سلبيُّون يتَّبعون التَّقاليد تبعيَّة عمياء، دون أَن تنمو

[١] ديوي، جون، الحرية والثقافة، ترجمة أمين مرسي قنديل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠١٤) (ب) ، ص:٦.

شخصياتهم النّمو الكامل"(ديوي،٢٠١٤(أ)، ص:١٥) وينظر ديوي إلى التَّربية كعمليَّة تحقيق لحاضرٍ وجيه لِلإمكانات السَّائدة وتحويله من إخضاع الحاضر للمستقبل إلى تناوله بصورة ذكيَّة؛ وذلك تقوية وامتدادًا للمستقبل، وعلى التَّربويّين أَنَّ يبتعدوا عن العبارات والشِّعارات التي لا جدوى فيها، ويجب التَّحوُّل إلى فهم طبيعة الشَّخصيَّة الإنسانيَّة، بالتَّهذيب والتَّشكيل لِلذَّكاء والمُطاوعة الإيجابيَّة.

وبالنَّظر إلى تأكيدات ديوي حول مفهوم الفرديَّة السَّائد في الثَّقافة الأَمريكيَّة؛ نجد أَنَّ ديوي يُجادل بِأَنَّ الفرديَّة الحديثة تأخذ بعين الاعتبار التَّوازن بين الحقوق الفرديَّة والواجبات الاجتماعِيَّة وبأَهميَّة المجتمع في تشكيل الفرد والتَّركيز على تنمية الفرد الذَّاتيَّة ودمجها مع احتياجات المجتمع، وهذه النَّظرة داخل الفرديَّة الحديثة، تُلغي النَّظرة القديمة للفردية الكلاسيكِيَّة التي تقتصر في تركيزها على حقوق الفرد وحُرِّيَّاتهم الشَّخصيَّة وتجعله كيانًا مستقلًا عن المجتمع ومتطلَّباته وحتّى وأَنَّ كانت تُعبِّر عن روح المنافسة بين الأَفراد لِلتَّقدُّم [١] ،

ويشرح زكي نجيب محمود، طريقة ديوي في النَّظر إلى المنطق ومعالجته للقضايا في كتابه (Logic: The Theory of Inquiry, 1939) وتأسيسيَّة ديوي للمنطق وجهوده المُعاصِرة التي تبتعد عن القواعد الثَّابتة وتعتمد الأَداتيَّة القابلة لِلتَّكيُّف مع احتياجات الشَّيء وحلّ الإشكاليَّات، من خلال فهم وتفسير الظَّواهر والارتكاز على الخبرة كمعيار للحقيقة، ومُقدّمًا التَّفكير النَّاقد المبني على تحليل المعلومات بعناية وتقيمها بشكلٍ موضوعي، وربط ديوي المنطق بالتَّجربة ليكون أَكثر اِرتباطًا بالواقع، ويقول زكي نجيب: "وأَمَّا ديوي فلا يفتح بابه إلَّا للجملة التي تكون ذات مُهمَّة أَداتيَّة تُؤدِّيها في عمليَّة البحث، أَي تُؤدِّيها بالتَّعاون مع غيرها في حلِّ الإشكال الذي يكتنف الموقف

---

[١] ديوي، جون، الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيري حماد، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة،٢٠٠١.

المُشكّل الذي بادئ ذي بدء باعِثًا للإنسان على التَّفكير"(ديوي،٢٠١٠(ب)، صص: ١٣-١٤).

وفلسفة ديوي الأَداتيَّة تصلح لخدمة المجتمع الذي يُحارب الجمود والتَّراجع ويسعى إلى التَّقدُّم والتَّجديد من خلال تشجيعه على كسب الخبرة وتركيزه على التَّربية السَّليمة والتي هي من أَهم الوسائل الأَخلاقيَّة في المجتمعات، والتَّربية عند ديوي ليست وسيلة للحياة؛ وإنَّما هي ذاتُها الحياة وعليها أَن توجَّه الإنسان لِيتدرَّب على الحُرّيَّة والابتِكار، ويُؤكِّد ديوي على ضرورة وجود مرجعيَّة فلسفِيَّة داخل المجتمعات التي تسعى نحو التَّناسق والتَّقدُّم بقوله: "إنَّ جميع الحركات الاجتماعِيَّة الهامَّة تستحدث لنفسها نوعًا من الفلسفة التي تسترشد بها اسميًّا على الأَقل في جهودها العمليَّة، ثُمّ تعود وتُبرِّرها كأَنَّ هذه الفلسفة لها مفعول رجعي"(ديوي،٢٠١٤(أ)، ص:٨٢).

والمدرسة هي مجتمع الحياة الفُضلى الذي نتخلَّص فيها من الشَّوائب التي ترتبط بالمجتمع الأَكبر؛ لِيمارس الطِّفل بعقليَّة الذَّكاء ويتمرَّن على التَّعاون الاجتماعي والإخلاص لما فيه خير عام للمجتمع، والتَّربية هي الحياة المُرتبطة بالتَّوجيه الاجتماعي، ويُركِّز ديوي على البيت والمدرسة ودورهما في التَّعاون والتَّوجيه والتَّربية؛ كضرورة لِلتَّوافق بين أَعمال الطِّفل الاجتماعِيَّة والمدرسيَّة وربطهما مع البيئة، وتبدء بدراسة مُيول الطِّفل ورغباته كأَساسٍ في التَّعليم المُرتكِز على التَّفكير والتَّحليل والنَّظر إلى الأَشياء بمعناها الأَوسع، لا بمعناها الضِّيق [١] ويقول ديوي: "لا يتسنَّى للمدرسة أَن تَعُد طلبة للحياة الاجتماعِيَّة إلَّا متى كان النِّظام فيها يُمثِّل الحياة الاجتماعِيَّة"(ديوي،١٩٨٧، ص:١١).

---

[١] ديوي، جون، المدرسة والمجتمع، ترجمة الدكتور أحمد حسن الرحيم، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٨٧، ص: ١٥.

ثُمّ يضيف: "وإذا رضينا بفهم التَّربية على أَنَّها عمليَّة تكوين النَّزعات الأَساسيَّة الفكريَّة والعاطفيَّة في الإنسان تلقاء الطَّبيعة وأَخيه الإنسان لم نخشَ حينئذٍ، تعريف الفلسفة بِأَنَّها النَّظرِيَّة العامَّة للتَّربية"(ديوي،١٩٨٧، ص:١٥)، وهذا الاهتمام بالتَّربية نتيجة النَّشاط الثَّقافي والتَّربوي الذي يجري من خلالها ويربط المدرسة بالمجتمع وأَنَّها جزء لا يتجزَّأ منه؛ من نقلٍ للتُّراث وتخليصه من الشَّوائب وإضافة ما هو ضروري لحياة المجتمع بشكلٍ مستمرّ، من خلال رفع مكانة الموضوعات المهنيَّة والعمليَّة داخل المدرسة، ويُمكننا من خلال طرح ديوي فكرة أَو طريقة المشروع(Project Method) في التَّربية، أَنَّ يتخلَّص الطِّفل من الأُسلوب التَّقليدي في التَّعليم وربط الفكرة بالمشروع لِدراسته ضمن وحدة مُتماسكة، والتَّربية بنظر ديوي كِفَاية اجتماعيَّة.

وفي النَّظر إلى دور المدرسة فإنَّ ديوي لا يكتفي بمسألة، ماذا يُريد الوالدان لطفلهما من معرفة وتعلُّم؛ وإنَّما ترتبط النَّظرة للمدرسة عنده بحاجات المجتمع وماذا يريد أَن يكون الطِّفل عليه وربطها بمفهوم ـ التَّربية الحديثة ـ المُعلَّقة بسير الحوادث العامَّة في المجتمع، وتتخلَّص المدرسة من عُزلتها بهذه الطَّريقة، ويرى ديوي أَنَّ الإصلاح الاجتماعي الذي يأتي من المؤسَّسة والمنهجِيَّة أَفضل من مجموعة كبيرة من المُصلحين، والمُهمَّة كيف نُهيَّأ هذا الطِّفل لواجباته الفعليَّة في المجتمع والفهم لِحقوقه ، والمدرسة تُشكِّل نظامًا إداريًّا عامًا من القواعد والغايات للوصول إلى النتائج، وإذا بُنيت هذه المدرسة أَو النِّظام المُصغَّر للمجتمع على أُسُس النَّظرة الرِّياديَّة والابتِكاريَّة للفهم والتَّدرُب على التَّعاون الاجتماعي وأُسُس العدالة والحُرِّيَّة والتَّفكير النَّاقد؛ استطعنا أَن نُحقِّق رسمًا عامًا جيّدًا للمجتمع المُتوافق مع الحاجات الأَساسيّة، والتَّحوُّل في المدرسة من أَداةٍ وأُسلوبٍ تقليديّ إلى ريادةٍ، بدأ من المنهاج ووصولًا إلى قياس المخرجات وربطها مع الرُّؤية والرِّسالة للمدرسة المُجتمعيَّة الرِّياديَّة، ونقل المدرسة من حالة الإصغاء إلى حالة العمل. وإنَّ الإصغاء في اعتماد العقل على العقل الآخر في

الأُسلوب التقليدي للمدرسة، لا يفتح المجال أَمام الفاعليَّة والعمل للطِّفل داخل المدرسة، وإِنَّما التَّربية عند ديوي مبنيَّة على "الاستخراج": أي أَنَّ الطِّفل يوجه لكسب المعرفة والخبرة من قبل المعلِّم ويبتعد على مفهوم "الكسب" بمعناه المعرفة المباشرة [١].

وإِنَّ عمليَّة النَّقل والاتِّصال والمُشاركة، هي خصائص تدعم وجود المجتمعات؛ لأَنَّ النَّاس يعيشون بفضل ما يشتركون به من الأَشياء، والاتِّصال هو الوسيلة لنقل الأهداف والعقائد والمعارف، وعمليَّة التَّوسُّع في المُشاركة يلزمها التَّربية والتَّجديد من خلالها لحياة المجتمع، وهي بمنزلة التَّغذية له وتتمثَّل التَّربية بعمليَّة النَّقل بواسطة الاتِّصال الذي بدوره يعكس عمليَّة الاشتراك في الخبرة[٢] ويقول ديوي: "فالتَّربية إذًا عمليَّة رعاية وتهذيب، وكُلَّ هذه الكلمات تدلُّ على أَنَّ التَّربية تتضمَّن معنى العناية بشروط النُّمو"(ديوي،١٩٤٦، ص:١١)، وكما أَنَّه يضيف قائلًا: "إذ الحق أَنَّه لا مناص من أَن يكون للفرد ولو بعض ضروب الاشتراك في حياة عشرائه، وبهذا الاشتراك يكون للبيئة الاجتماعِيَّة أَثر غير مُتعمَّد في تربية الفرد وتكوينه بغض النَّظر عن أَي غرض أَو هدف مُعيَّن"(ديوي،١٩٤٦، ص:١٨). ويُؤكِّد ديوي قائلًا: "دع طبيعة الطِّفل تحقَّق مصيرها، الذي ينكشف لك في أي من العُلوم والفنون والصِّناعة"(Dewey,1910,p31)، ويظهر لنا حسب ديوي، أَنَّ الأطفال يمكن أَنَّ يعيشوا في المدرسة وكأَنَّهم خارجها وينمون يوميًّا في الحكمة، ويجب مُراعاة أَشكال المعرفة وتنميتها[٣]. وفي إِدارة المدارس من الجيّد للمواطنين أَنَّ يحدِّدوا الغايات المُناسبة لهم، ومن امتيازهم أَن يحكموا على مدى فاعليَّة النَّتائج عند طرح الأَسئلة التي تتعلَّق بجميع التَّفاصيل المُتعدِّدة التي يتم

---

[١] ديوي، جون، المدرسة والمجتمع، ترجمة الدكتور أحمد حسن الرحيم، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة،١٩٨٧، صص: ٣٢-٥٦.

[٢] ديوي، جون، الديمقراطية، ترجمة الدكتور متى عفراوي وزكريا ميخائيل، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٤٦، صص:٤-١٠.

[3] Dewey, J. (1899), The school and society: Being three lectures, Chicago: Uni Chicago, p129.

من خلالها تحويل الأَطفال إلى أَنواعٍ مرغوبةٍ من الرِّجال والنِّساء، على أَنَّ يكون مدير المدرسة موثُوقًا إلى درجة تتناسب مع معرفته المُتفوقة بهذه المشكُلَّات [١]. ويصف ديوي الشَّعب الياباني في رحلته إلى اليابان والصين، أَنَّ اليابانيّين ليسوا شعبًا ثرثارًا ولديهم موهبة الفعل بدلًا من الثرثرة [٢].

وإِنَّ إِعادة النَّظر في أَفكار ديوي وتطبيقها حول الدِّيمُقراطِيَّة والأَخلاق يُمكن أَنَّ تُوفِّر التِّرياق اللَّازم لبعض الجوانب الأَكثر سُميَّة في حركة الإِدارة العامَّة التقليديَّة. ويُركِّز ديوي في البحث التَّعاوني على المسائل الأخلاقيَّة؛ لِتحديد الخير في كُلِّ موقفٍ مُعيَّن، ورؤى ديوي قد تُوفِّر نموذجًا أَكثر تميُّزًا لصنع السِّياسات والسُّلوك المسؤُول[٣]. وقد سلَّط ديوي الضَّوء على دور الاتِّصال وإِعادة تشكيل الجماهير، وكان لديه رُؤية شاملة لِلاتِّصال باعتباره عمليَّة اجتماعيَّة ومُركزًا على الجماهير المُتعدِّدة[٤].

وليس من الممكن فحسب؛ بل من الحكمة أَيضًا أَن يستعيد مجال الإِدارة العامَّة، فلسفة ديوي كروح توجيهيَّة لِممارساته، ومن وجهة نظر ديوي فإِنَّ المجتمع الدِّيمقراطي مسؤُول عن ضمان تطوير قُدرة كُلّ شخصٍ على المُشاركة والحُكم الذَّاتي بِشكلٍ كاملٍ، وفي مثل هذا المجتمع سيشارك المواطنون في التَّحقيق لِاختيار الإِجراء المُناسب كما سيشارك المدير العام في هذه العمليَّة من خلال المُساهمة بمعرفته المُتخصِّصة، وتُشكِّل الحكومة اللامركزيَّة اليوم فُرصةً لهذه المُمارسة لإِعادة التَّواصل مع المواطنين في عمليَّات مثل تلك التي دعا إِليها ديوي[٥].

---

(1) Dewey, J. (1909), Moral principles in education, Houghton: Mifflin.

(2) Dewey, J. (1921), China, Japan and the USA, New York: Republic Publishing Co, p4.

(3) Evans, K. (2001), More Democracy..., *Public Integrity,* 3(3) 262 – 276.

(4) Asen, R. (2003), The Multiple Mr. Dewey: Multiple Publics and Permeable Borders in John Dewey's Theory of the Public Sphere, *Argumentation and Advocacy*, 39(3)174 - 188.

(5) Evans, K. G. (2000), Reclaiming John Dewey: Democracy, inquiry, pragmatism, and public management, Administration & Society, 32(3), 308-328.

المطلب الثَّاني

البراجماتيَّة الجديدة: إعادة صياغة العلاقة بين النَّظريَّة والتَّطبيق.

مزج ريتشارد رورتي (Richard Rorty,1931-2007) تصوُّرًا خاصًّا من فهمه للفلسفة التَّحليليَّة والبراجماتِيَّة الكلاسيكِيَّة وتركيزه في النَّقد على بيرس واقترابه الفكري من الفلسفة الأُوروبيَّة، وبالإضافة لتعمقه بدراسة الأَدب المُقارن واقترابه من المذهب الطَّبيعي ونظرِيَّة التَّطور؛ كَوّن رورتي صُورة مُعاصِرة للبراجماتيَّة أَطلق عليها "البراجماتِيَّة الجديدة" ناقدًا لأصول الفلسفة الحديثة، ويقدِّم ما ينبغي أَنَّ تكون عليه الفلسفة، ورافضًا فكرة الفلسفة الخالدة، ومركزًا على أَنَّ كُلَّ عصرٍ يكتب فلسفته. ويبتعد رورتي عن فكر المنهج المُعتمد والمُتأَثِر بالعلم أَو النَّاشئ من ذات الفلسفة. ومن يرى أَنَّ فلسفة رورتي تنطوي على جوانب إبداعية دونالد ديفيدسون (Donald Herbert Davidson,1917-2003)، وتجد وصفًا آخر لأفكار رورتي، أَنَّها تتزلَّج على الجليد الرَّقيق للغاية وتقدّم تفسيرات مثيرة للجدل. ورورتي يبحث عن الصِّلة التي تُوافق التَّقليد الفلسفي ما بعد نيتشه في الفلسفة الأُوروبيَّة بالتَّقليد البراجماتِي[١].

وكان سبب ابتعاد رورتي عن الفلسفة التَّحليليَّة مشابهًا لِلأَسباب التي وجدها في الفلسفة الأَفلاطونيَّة، واصفًا أَنَّها تُعاني من خطأ كبير يُعبِّر عن النَّزعة التَّمثيليَّة(Representationalism) في الإبِستمولُوجيا(Epistemology) التي تنظر إِلى المعرفة على أَنَّها تمثيلًا للعالم الخارجي في صورة العقل المرآة الكبيرة التي تعكس الطَّبيعة، وبعد ذلك تحوُّل رورتي إِلى البراجماتِيَّة مُستمدًا خطاه وإِلهامه من أُستاذه جون ديوي. وحيث أَنَّ فلسفة رورتي تبتعد عن الماهِيَّات والجوهر والأُسُس التَّقليديَّة في الفلسفة، ومُعتبرها اختياراتٍ تاريخيَّةٍ لِلاستعارة الفلسفِيَّة مُمكِنة ومُتغيّرة، وليست ضرورات

---

[١] إسماعيل، صلاح، البراجماتية الجديدة: فلسفة رورتي، القاهرة: المجلس الأعلى ، ٢٠١٣، صص:١١-١٣.

تمثيلة ثابتة تفرضها بنية العقل. وإنَّ المعرفة مسألة مُحادثة ومُمارسة اِجتماعية وليست دِقَّة التَّمثيل[١]. والتَّعارض بين فلسفة بيرس البراجماتِيَّة وفلسفة رورتي يُظهر، بِأَنَّ بيرس صاحب براجماتِيَّة علميَّة ويدعو إلى النَّهج العلمي، وبيرس يكتب الفلسفة ويجري اختبارًا كأَنَّه في معمل كيميائي، وأَمَّا رورتي فإنَّه يُنكر فكرة المنهج، وبراجماتية رورتي رومانسيَّة أَدبيَّة [٢]. وبرز تحوُّل رورتي إلى البراجماتِيَّة بعد أَن عرفت انحِسارًا بعد موت ديوي حتّى عام ١٩٧٠م، وأَصبح رورتي أَقرب ما يكون، ناطِقًا باسم البراجماتِيَّة الجديدة. ومن الخطأ أَنَّ نتصور البراجماتِيَّة تيَّارًا فكريًا واحدًا في انسجامه ومنهجه ومضمونه.

ويُؤيّد رورتي النَّزعة اللَّاماهويَّة(anti-essentialism)، مُشتركٌ مع الفلسفات الوجودِيَّة والتَّفكِيكيَّة في هذا التَّصوُّر، والتي تنفي أَنَّ يكون هنالك لأي شيء ماهيَّة ثابتة، وفي اللَّاتمثيليَّة عند رورتي فإنَّه يُؤكِّد على الموقف العملي، ويصف الموضوعِيَّة بإنَّها "الاتفاق اللَّاقسري" بين مجموعة البحث العلمي والحوار مع الآخرين وهي حالة العقلانيَّة، والهدف من هذا التَّأويل المفاهيمي لدى رورتي تخليص الذَّات البشريَّة من السُّلطة الخارجيَّة التي تفرض عليه باسم الحقيقة، ويرفض رورتي مفهوم التَّطابق ومن أَجل تكريس مفاهيم الثَّقافة العلميَّة، وعلى المفكر البراجماتي أَنَّ يصب اهتمامه على تفكيك المفاهيم التَّقليديَّة والالتفات إلى إبداع لُغته وذاته وحياته[٣]، ويسعى رورتي لتحقيق الكمال مع الشُّعور بالانتماء للمجتمع الذي يتطلَّب ذلك الاعتراف بالطَّبيعة الإنسانيَّة المُشتركة، وما هو مشترك بيننا وبين الآخرين[٤].

---

[١] المرجع نفسه ، ص:١٦.

[٢] المرجع نفسه، ص: ١٩.

[٣] شهيرة، شرف (٢٠١٣) ، تأويل رورتي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، ١٠(٢) ١٨٥٩-١٨٩١.

[4] Rorty, R.(1989),Contingency,irony,and soliderity,USA:Cambridge University Press.

والسُّؤال القائم، هل لنقد رورتي للمعرفة انعكاسات على آرائه في الفلسفة السِّياسِيَّة؟ نجد ربط رورتي للمسائل الاجتماعِيَّة والسِّياسِيَّة بما توصل إليه في نقده للمعرفة، وأَنَّها ليست مفصولة عن المُمارسة الاجتماعِيَّة، وحسب رورتي قائلًا: "لا يزال الأَمل الاجتماعي اليوتوبيّ الذي بزغ في أُوروبَّا في القرن التَّاسع عشر من أَرقى وأَنبل إبداعات الخيال التي سجَّلناها"(Rorty,1999,p277)، فإِنَّ رورتي يُؤكِّد على أَنَّ الثقافة الأَمريكِيَّة قد اتَّجهت منذ بداياتها إِلى التَّجسيد والتَّحقيق، واجتمعت الغاية والفعل.

وصعوبة مسعى رورتي في توجيه البراجماتِيَّة الجديدة نحو القضايا الاجتماعِيَّة والسِّياسِيَّة، يتمثل في رفض فلسفته التَّنظير والتَّأسيس، وتقتصر بالنَّظر إِلى السِّياسة من زاوية السِّيَاق، وفي دعوات الفصل بين السِّياسة والفلسفة، والنَّظر إِلى السِّياسة فرعًا من التَّجريبيَّة بدلًا من النَّظرِيَّة، ويظهر ذلك جليًّا في نظرته للدِّيمقراطِيَّة واصفًا أَيّاها بالخلَّاقة، ويُعطيها أَولوِيَّة على الفلسفة. ويلتفت رورتي إِلى المُمارسة السِّياسِيَّة الأَمريكِيَّة في الزَّمن والتَّاريخ، ويُؤكِّد على الخبرة وتراكُماتِها لتوجيه الفعل السِّياسي والأَخلاقي في تحقيق غاية الفرد والمجتمع، وتشكُّلَ الدِّيمُقراطِيَّة الإِطار لهذا المقياس بالتَّطور، وظهر ذلك بصورة مُشرقةِ في الدِّيمُقراطِيَّة الأَمريكِيَّة، تطورًا ونُموًّا، ولم تُؤثِّر عليها الأَحداث السِّياسِيَّة التي قد تُعبِّر عن انتكاسة لها؛ لذلك فكرة التَّأصيل للتجربة الدِّيمُقراطِيَّة الأَمريكِيَّة نظريًّا خارج تصوُّرات رورتي؛ لِمَا تُحدِثه من نُزوحِ وخروجِ من دائرة الزَّمن وتحوُّلها إِلى طريق المُطلق والمُثل الأَفلاطُونيَّة والكونِيَّة الكانطيَّة [١].

والدِّيمُقراطِيَّة الخلَّاقة لها وجه بقول رورتي: "لا تعني الدِّيمُقراطِيَّة الخلَّاقة أَو الجذرِيَّة مجموع المُؤَسَّسات ولا الإِجراءات ولا الضَّمانات القانونِيَّة، بقدر ما تُترجم ثقافة تتجسَّد بشكلٍ ملموسٍ في الحياة اليوميَّة، إِنَّها اعتقاد مُتبصِّر في قدرة كُلِّ كائنٍ بشريٍّ على

[١] جديدي، محمد (٢٠٢٢)، براغماتية ريتشارد رورتي السياسية: بين اليوتوبيا الليبرالية والمنحى الساخري، **مجلة تبيَّن**، ١١(٤٢) ١٣-٣٧.

الحكم والمُداولة والفعل الذَّكي"(Rorty,1998,p29)، والدِّيمُقراطِيَّة على اعتقاد رورتي هي مسألة إمبريقيَّة طارئة ولا تدخُّل في مجال الحقيقة أَو العقل التي تُعبِّر عن مهمة للفلسفة. ومفهوم "العَارِضيَّة" (Contingency) عند رورتي يقابل الضَّرورة والأَساس، ويتجدَّد الفرد من خلال إعادة الوصف داخل مفهوم "السَّاخِريَّة"(*) وبتجديد لغته وتحقيق حاجته من الازدهار الذَّاتي دون أَنَّ يكون للوصف معجمه النِّهائِي، والسَّاخِريَّة حالة من يتعمَّد الارتياب والتَّشكيك إزاء الأَحكام المُطلقة؛ محاولة من رورتي رَدْم هُوَّة الثُّنائيَّات وتقديم موقفًا ليبراليًّا ساخريًا.

وقدَّم رورتي عارضية اللُّغة، وأَنَّها لا تُحدِّد الحقيقة بشكلٍ ذاتي؛ بل أَنَّنا نستخدم اللُّغة لإنشاء أَوصافًا لعالمنا، ولا توجد حقيقة جوهريَّة خارج اللُّغة، والعالم الذي نختبره مشروط بالطَّريقة التي نصفه بها في اللُّغة، واللُّغات المُختلفة لا تُمثِّل قطعًا مختلفة من الواقع، بل إنَّها أَشبه بأَدواتٍ بديلةٍ لفهم العالم، ويُلقي رورتي بمفهوم عارضية اللُّغة وظلاله على فكرة الذَّات التي يتم فيها تشكيل إحساسنا بالذَّات من خلال اللُّغة والمفاهيم التي نستخدمها وهذا يُشكل ما نحن [١].

(*) **السخرية (Irony)** ، مصطلحًا فلسفيًا عميقًا يتجاوز معنى التهكم والازدراء، وتختلف السخرية الفلسفية عن التهكم والازدراء، فهي موجهة ضد الميتافيزيقا وفكرة المعرفة المطلقة، وتُعبّر عن رؤية نقدية للعالم تُؤكد على عدم وجود حقائق مطلقة، وتُشجع على التفكير النقدي والحر، ويتبنى الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي السخرية كأسلوب للتفكير والعيش لدى نموذج المثقف الليبرالي؛ فالمثقف الليبرالي ينتقد المجتمع الذي ينتمي إليه لأنه لا يحقق آماله وطموحاته، لكنه في الوقت نفسه يعترف بأَنَّ هذا المجتمع، على مساوئه، قد منحه فرصة الوصف وإعادة الوصف لطموحاته ومشاريعه.

(1) Rorty, Contingency,irony,and solidarity,pp8-9.

المطلب الثَّالث

البراجماتيَّة(4P): حاضِنَة الإدارة العامَّة مُتعدِّدة التَّخصُّصات.

في الآونة الأَخيرة أَصبحت البراجماتِيَّة موضوعًا للمناقشة المتزايدة داخل مجال الإدارة العامَّة، وتُؤكِّد هذا المُناقشات أَنَّ رؤى بيرس وجيمس وديوي تُضفِي التَّماسُك المفاهِيمي على مجال الإدارة العامَّة وتُزوِّده بالمبدأ التَّنظيمي المطلوب، كما أَنَّ البراجماتِيَّة الجديدة التي تتمثَّل برؤى رورتي تعمل على تحديث وإسقاط العديد من الأَفكار الرَّئيسيَّة للبراجماتِيَّة الكلاسيكِيَّة وتَحلُّ مَحلَّها التَّركيزات اللُّغويَّة على الشَّرعيَّة والعمليَّة، والبراجماتِيَّة على النَّقيض من الوضعيَّة المنطقيَّة التي أَنتجت إدارة عامَّة غير قادرة على توليد نوع من هياكل الحكم المستدامة لمواجهة تحدِّيات القرن الحادي والعشرين؛ لِأَنَّها محاصرة في النَّموذج الوضعي[1].

وقدَّم سنايدر(2011)Snider حُجَّته المتعلِّقة بدور البراجماتِيَّة في مجال الإدارة العامَّة، من خلال تحديد مقارن بين نوعيّن من الأَنماط البراجماتِيَّة، ويسمى النّوع الأَوّل البراجماتِيَّة(4P) والنّوع الثّاني البراجماتِيَّة(RP) وهذا النّوع، مشابه للبراجماتِيَّة اللُّغوية لرورتي وأَنَّها تستلزم عمليَّة الارتباط المتبادل الذي يسمح بظهور الطَّبيعة الإنسانيَّة الحقيقيَّة والعمل الاجتماعي، وتشير البراجماتِيَّة(4P) إلى المبادئ الأَربعة للبراجماتِيَّة الكلاسيكِيَّة التي قام بتطويرها ديفيد بريندل(2006)Brendel في محاولة لِعلاج الانقسام الحاصل بين العلم والإنسانيَّة وتشمل هذه المبادئ، العمليَّة والتَّعدُّديّة والتَّشاركيَّة والمؤقّتة(Provisional) وتَحُثّنا على التّطبيقات العمليَّة وتعدُّد الظَّواهر التي تجعل هذا المجال مفيدًا، وكما أَنَّها تُؤكِّد على مشاركة الأَفراد في صياغة فرضيَّات تعاونيَّة وقابلة للتَّنفيذ والالتفات لِلطَّبيعة المُؤقَّتة للفهم العلمي، وفي كثير من الأَحيان تُهدِّد الثُّنائِيَّات

(1) Whetsell, Travis & Shields, Patricia. (2011), Reconciling the Varieties of Pragmatism in Public Administration, Administration & Society - ADMIN SOC, 43(4) 474-483.

مجال الإدارة العامَّة مثل النَّظريَّة والممارسة، الحقيقة والقيمة، والانقسامات الكميَّة والنوعيَّة، وحسب بريندل فإنَّ إمكانيَّة البراجماتِيَّة قادرة على تبنّي مثل هذه المواقف الهجينة وطرق التَّعامل معها(١).

وتُعدّ البراجماتِيَّة الكلاسيكِيَّة أَكثر ملاءمة كأُسسٍ نظريَّة شاملة لِلإدارة العامَّة؛ نظرًا لتركيزها على الخبرة يجعلها أَكثر ملاءمة لِمجال المُمارسة، وفي المقابل يُشوِّه البراجماتيون الجدد مفهوم الخبرة ويركِّزون بدلًا من ذلك على فضح ادِّعاءات الحقيقة الموضوعيَّة لغويًّا، ولا ننكر دور البراجماتِيَّة الجديدة في مكانتها في الإدارة العامَّة، ولكن ترويجها الأكثر حماسة للتَّحليل اللُّغوي يَحِدّ من أَهميَّتها(٢).

وكما أَنَّ البراجماتِيَّة تُزوِّدنا بطريقة عمليَّة للتَّفكير والبحث المنهجي في مجال الإدارة العامَّة في تركيزها على عدَّة مفاهيم مثل، الوضعيَّة الإشكاليَّة(Problematic Situation)، ومجتمع الاستقصاء(The community of inquiry) وحل المشكلات, وتوفُّر إطارًا تفسيريًّا للمواقف والقضايا العامَّة(Interpretive Framework) أَكثر ملائمة من النَّماذج الفلسفيَّة الأُخرى, والبراجماتِيَّة تقع في منتصف النظريَّات المتنازعة، وتُشبِه براجماتية ويليام جيمس ممرًا في فندق يربط بين غرفٍ تمتلئ كُلّ منها بنظريَّةٍ مختلفة، ويمُرّ الشَّخص عبر هذا الممر فيُطِلّ على كُلّ نظريَّةٍ ويتعرّف على أَفكارها ومبادئها وتُتيح له هذه الرِّحلة تكوين صورةٍ شاملةٍ عن مختلف النَّظريَّات وفهم نقاط قُوَّتها وضعفها؛ لذلك تستخدم البراجماتِيَّة للحالات المُتعدِّدة وتُشكِّل وسيطا بين التَّخصُّصات المُتعدِّدة وهي تحتضن الإدارة العامَّة مجالا مُتعدِّد التَّخصُّصات.

وبدأَ مصطلح البراجماتي هو الأَكثر تكرارًا عند التَّفكير بالإداريّين العموميّين، حيث يُكلَّفون بتنفيذ توجيهات السِّياسة العامَّة؛ وبالتَّالي فهم مهتمُّون بالمشكلات العمليَّة

(1) Snider, K. F. (2011), On the problem of adopting pragmatism in public administration, Administration & Society, 43(1) 133-141, p36.

(2) Whetsell, Travis & Shields, Patricia, Administration & Society - ADMIN SOC, pp 479-483.

المتعلِّقة بتنفيذ البرامج العامَّة، وبتركيز البراجماتِيَّة على التَّجربة والعواقب والسِّياق والمشكلات وأَنَّها تُجسِّد ما يتم البحث عنه. ولا نهمل دور البراجماتِيَّة في التَّوفيق بين النَّظرِيَّة والممارسة وتجاوزها الثُّنائِيَّات بين السِّياسة والإدارة ويقارن جيمس ويلسون(Wilson,1931–2012) في طبيعة صنع السِّياسة في الولايات المُتَّحدة وأُوروبا، حيث أَنَّ وضع السِّياسة في أُوروبا من حيث التَّشكِيل يشبه كما يصفها ويلسون:"مباراة ملاكمة، يتنافس متباريان، بعد أَن كسبا حقّ الدُّخول إلى الحلبة ضدَّ بعضهما البعض لعدد محدَّد من الجولات، ويعلن الفائز وينتهي القتال" (Wilson,1989,p299)، ولكن يصف صنع السِّياسة في الولايات المُتَّحدة بقوله: "أَشبه بمشاجرة في حانة، يمكن لأي شخص الانضمام إِليها ويقاتل المُتنافسون جميع القادمين ويُغيِّرون الجانبين في بعض الأحيان، ولا يوجد حكم مسؤُول ويستمر القتال إلى أَجل غير مسمى" (Wilson,1989,p300).

والبراجماتِيَّة تواجه التَّجربة بِأَكملها ولا يتم تجاهل أَي من الحقائق الملموسة ويسأل البراجماتي عن الاختلافات العمليَّة عند فضِّ النّزعات، وإِن لم يكن هناك أَي اختلاف عملي مُمكن تتبُّعه فإِنَّ البدائل تعني عمليًّا نفس الشَّيء، ومبدأ "ما الذي ينفع" تنظيمًا مفيدًا جدًا؛ لأنه يُمكن تطبيقه على العديد من المواقف الإداريَّة المختلفة, وأَنَّ البراجماتِيَّة مُقاربة قابلة للتَّطبيق على جميع المستويات وفي كُلِّ جزء من العمليَّة الإداريَّة، وتستخدم التَّجربة لتَّحديد السِّياق وتوضيحه ويتم إِجراء وملاحظة العواقب ودمجها في المرجع التَّجريبي، ووفقًا لجورج نوفاك(Novack,G):"نشأت وجهة النَّظر البراجماتِيَّة عضويًّا من الظُّروف الخاصَّة لِلتَّطوُّر التَّاريخي الأَمرِيكي, ولقد ازدهرت كطريقة طبيعيَّة لِلتَّعامل مع العالم والتَّصدِّي لمشاكله؛ لأَنَّ نفس البيئة التي شكَّلت الشَّعب الأَمريكي خلقت أَيضًا أَجواءً مُواتية لتنمو البراجماتِيَّة"(Novack,1975,P19).

المبحث الثَّاني:

السِّيَاق (The Context): الحلقة الحَاسِمَة بين المَفهُومين، التَّقليدي والمُعاصِر لِلإدارة العامَّة.

ويُمكن أَن يُساعد فهم التَّأَثيرات السِّيَاقيَّة بشكل أَفضل في تحسين معرفتنا وتقدُّمها في الإدارة العامَّة، ويتساءل أُونجارُو (Edoardo Ongaro) لماذا علينا أَن نفهم السِّيَاق؟ ويطرح مثال على مستوى الإطار التَّنظيمي من جانب إدارة مدرسة في إنجِلترا مُغاير تنظيمِيًّا لإدارة مدرسة في إيطاليا من حيث آليَّة تعيين المُعلِّمين، حيث يتم تعينهم في إنجِلترا من قبل مدير المدرسة ولكن في إيطاليا يتم تعيين المُعلِّمين من خلال المُسابقات العامَّة الوطنِيَّة التي تُقام مرَّة كُلّ بضع سنوات وتكون نتيجتها تصنيفًا وطنيًا، وليس لمدير المدرسة الدَّور إلَّا أَنَ يُرحّب بالمُعلِّمين الجُدد، ويُؤكِّد أُونجارُو أَنَّ كلا النِّظامين يعملان بشكلٍ جيّد، ولكن المدرستين في سياق مختلف، فالحلول التي تنجح في بلد ما قد لا تنجح على الإطلاق في بلدٍ آخر، فإنَّ السِّيَاق يستحضر نسِيجًا ويستلزم أَن تكون أي مؤسَّسة عامَّة مُمارسة للإدارة العامَّة منسُوجة في مُؤَسَّسات أُخرى في نسيجٍ سلسٍ. ويطرح أُونجارُو سؤالًا، هل يُمكننا التَّنقُّل بين السِّيَاقات؟ ويُؤكِّد على ضرورة التَّكيُّف قبل الإجابة بنعم، لأَنَّ السِّيَاق كما يصفه أَونجأَور بي "السِّيَاق المُتعنِّت"، فكُلَّ مؤسَّسة لها نسيج مُتماسِك ومُتَّسق وصلب مع بعضه البعض في التَّقليد، ولكن كيف يُمكننا التَّكيُّف في هذه الحالة؟ وذلك بالنَّظر والتَّحليل وفهم السِّيَاق باعتباره مُكوَّنًا من مستويات مُتعدِّدة وتتفاعل بشكلٍ منهجي أَكبر على المستوى الجُزئي، وفهم الصُّورة السِّيَاقية المفاهيميَّة والواقعيَّة للإدارة العامَّة وإحضار السِّيَاق باعتباره النِّظام الإداري السِّياسي الذي له بالطَّبع تأثير على ديناميكِيَّات الإصلاح في القطاع العام كما يُؤكِّد أُونجارُو[١].

---

(1) Ongaro, Edoardo(2009),Public Management Reform and Modernization, Cheltenham : Edward Elgar Publishing Ltd.

وعلينا أَن نَلتفِت إلى أَنَّ الابتِكار يحدث عند الحدود، في مُقارنة السِّيَاقات ولا ننظر إلى طبيعة الأسئلة المُتعلِّقة في ماهية الأُسس؟ ولكن كيف تتحقَّق تِلك الأُسُس الإدارية، اعتمادًا على فلسفة كارل بوبر (Karl Popper,1902-1994) نهجًا نحو المُمارسة والابتعاد عن المعاني العامَّة للمفاهيم الاجتماعِيَّة والنَّظرِيَّة داخل أَساسِيَّات الإدارة العامَّة، وللفلسفات غير الغربِيَّة تأثيرًا على مفهوم الإدارة العامَّة من منظُوريين، إحداهُما الاهتمام بالعدسة السِّياسِيَّة الثَّقافيَّة، والآخر لِفهم الإدارة العامَّة من منظور عالمي، والمفاهيم الفلسفِيَّة جزء لا يتجزَّأ من الثَّقافة وهي مُلتحِمة في السِّيَاق المُؤَثِر في الإدارة العامَّة، وعلينا أَنَّ نتنبه إلى تأثيرات السِّيَاقية الغربِيَّة وانتشارها بدأً من الاستعمار وما بعده "العولمة"، ويتوجَّب على الفلسفة غير الغربِيَّة تحليلًا لِلسِّياقيَّة الغربِيَّة وفقًا لثقافتها وانعكاسها على تشكيل مفاهيم الإدارة العامَّة، وباعتبار الفلسفات غير الغربِيَّة وجهات نظر عالميَّة، وليست مُجرَّد سياق مُنعزل، وإنَّما هي وُجهات وأُسس عامَّة ظهرت لِأسباب تاريخيَّة تمّ تطبيقها غالبًا على الأَنَّظمة السِّياسِيَّة والإداريَّة، وعند تحليل الفكر الكونفوشيوسي والذي هو ليس أَقلّ عالمِيَّة في قابليَّة التَّطبيق من الأَفكار الغربِيَّة، ويمكننا تطبيقه لِلتَّأمل في الأُسس الفلسفِيَّة العامَّة للإدارة العامَّة [1].

وفي تركيزنا على تطوير بحوث الإدارة العامَّة من خلال إدخال الفكر الفلسفي وبشكل منهجي، يُقدِّم أُونجارُو، أَربعة مساراتٍ مُتكاملةٍ لتحقيق هذا الغرض وتشمل:

١. منهجِيَّة البحث الأُولى: العودة إلى الوراء (Mapping Backwards)، والتي تستند إلى مسح مجال الإدارة العامَّة للكشف عن المواقف الفلسفِيَّة الأَساسية، وإعادة النَّظر في المُؤلَّفات الموجودة واستكشاف المنشورات التي تظهر في المجلَّات العلمِيَّة السَّبع والأَربعين المُصنَّفة حاليًا وفق مؤشِّر (ISI-Thomson) تحت فئة الإدارة العامَّة،

(1) Ongaro, Edoardo(2021),Non-Western philosophies and public administration,Asia pacific Journal of Public administration,43(1)6-10.

والتي تبحث بعض الافتراضات الفلسفِيَّة الضِّمنيَّة، وتركيزنا عليها، وجعلها أكثر صراحة.

٢. منهجِيَّة البحث الثَّانِية: بناء الأَساس (Going Foundational)، في هذه المنهجِيَّة تُصبح الفلسفة نقطة الانطلاق لوضع التَّفسيرات الفلسفِيَّة الخاصَّة بالحوكمة العامَّة.

٣. منهجِيَّة البحث الثَّالثة: البحث والتَّطوير بالمراجعة الانتقائِيَّة (Revisiting Selectively)، وتنطلق من الواقع والقضايا المُسلمة في الإدارة العامَّة والسَّعي إليها من منظور فلسفي وتُعتبر هذه المنهجِيَّة قريبة من نهج "النَّظرِيَّة النَّقديَّة".

٤. منهجِيَّة البحث الرَّابعة: الفلسفة المنهجِيَّة (Philosophizing Systematically)، وتعتمد على مجموعة الأَفكار الفلسفِيَّة كما تَمّ تدوينها في الأَوساط الأكاديميَّة، والتي تم فحصُها وتطبيقُها على مجالات الإدارة العامَّة في جهد مشترك أَو بطريقة مجموعة المعرفة التي تم إنتاجها وتراكُمها وإعادة رسمها في أَقسام الإدارة العامَّة، وتوظيف التَّأمُّل الفلسفي لِإلقاء الضَّوء على الجوانب النَّظرِيَّة والمُمارسة، والجهات الفاعلة في هذا النَّهج، هم الإداريُّون العموميُّون ويضَعُون خريطةً لِمجال الإدارة العامَّة وعليهم تحديد المجالات التي يكون فيها الفكر الفلسفي مفيدًا، وتطبيقها على الإدارة العامَّة [١].

وفيما يتعلَّق بالمحتوى الأَكثر معيارِيَّة للوحدات النمطِيَّة التي يتم عادة تدريسها في برامج الإدارة العامَّة، يجب إحضار الخلفيَّة الفلسفِيَّة الأَوسع للطُّلَّاب لِتكوُّن ميزة وتُمثِّل حسب أُونجارُو غالبًا الشَّرط الأَساسي لِفلسفة الإدارة العامَّة، وتَضمِين ما تُشكِّلُه الفلسفة السِّياسِيَّة في عمليَّة الإدارة العامَّة وما تقدُّمه نظريَّة المعرفة المُتعلِّقة في طُرق البحث

---

(1) Ongaro, TAD 14 The Disciplines and the Study of Public Administration: Transatlantic Perspectives in the Margin of the 14th Administration and Public Management International Conference, Bucharest, June 6-18 2018, pp19-24.

والأَخلاق، والالتفات إلى الفلسفة الوجوديَّة وموضُوعاتها، ودور السُّلطة في رسم استراتيجيَّات الإدارة العامَّة، ومن حيث الأُسلوب التَّدريسي، يتم من خلال المُحادثة والاستجواب للمُمارسة الواقعيَّة لِلإدارة العامَّة وإطارها النَّظري[1].

ونجد رادشيلدرز (Jos C.N. Raadschelders) يتحدَّث عن التَّقاليد الفِكريَّة الأَربعة في الإدارة العامَّة وفقًا لتصنيفه ويُقدِّم تعريفًا بها:

١. الإدارة العامَّة كحكمة عمليَّة (PA as practical wisdom)، وجوهرها استخدام المنطق والتَّأمُّل والنَّهج مُتَعدِّد التَّخصُّصات لفهم ممارسة الحكومة.

٢. الإدارة العامَّة كتجربة عمليَّة (PA as practical experience)، ويُركِّز على الأَدوات والتِّقنيَّات والتَّعليم التَّجريبي لِلإدارة اليوميَّة.

٣. الإدارة العامَّة كمعرفة علميَّة (PA as scientific knowledge)، والسَّعي وراء علم الإدارة وارتباطه بالعُلوم الطَّبيعيَّة ودراسة التَّيار الوضعي وأَنَّ تلقي الضَّوء على نقاط القوّة والضَّعف في هذه المدارس، وتعمل كتذكير قوي بالحدود الضَّيقة لهذه المدارس ونهجها أحيانا.

٤. النِّسبيَّة والرُّؤية ما بعد الحداثِيَّة لِلإدارة العامَّة (Relativism and the post-modernist vision of PA)، ومُستندة على فرع معيَّن من الفكر الفلسفي يتوافق بشكل أَوثق مع كونه فلسفة مُحدِّدة لِلإدارة العامَّة وتطبيقاتها باستمرار ومن سماتها وتأكيداتها على اختلاف الحقيقة وتناقُض القيم الإنسانيَّة والاهتمام بالتَّأويلات.

وبوجود هذه النَّماذج الفِكريَّة، يدعو رادشيلدرز إلى الحوار والتَّبادل كإِجراءٍ لِربط تقاليد البحث في الإدارة العامَّة بصورة تفاعُليَّة، ومن حيث المُمارسة يقترح أُونجارُو في البحث الإداري العام، البدء بترتيبٍ عكسيٍّ لتصنيف رادشيلدرز، بدأً من النِّسبيَّة ثم

(1) Ibid., p 25.

ننتقل إلى الإدارة العامَّة كمعرفة علميَّة، ونناقش بعدها المنظُوريين اللَّذان يضعان أَبعاد الإدارة العامَّة كفنٍ ومهنةٍ [١].

ويُناقش أُونجارُو بأَنَّ المعرفة الفلسفِيَّة تُقدِّم منظورًا فريدًا وجوهريًّا، يُؤَطِّر التَّخصُّصات المُوجودة في الإدارة العامَّة، ويتعمَّق في الاعتبارات العمليَّة لإدراج فلسفة الإدارة العامَّة في المنَّاهج الدراسيَّة ويُحدِّد موقعها في الدِّراسة من حيث البرامج الدِّراسيَّة، وهل الفلسفة تكون مادة مستقلَّة أَم يتم دمجُها ضمن وحدات قائِمة؟ وما هي الموارد الفلسفِيَّة التي يجب تعلُّمها، وكيفيَّة ربطها مع الموارد الأُخرى لِتُشكِّل تجربة تعليميَّة مُتماسكة وثرِيَّة وذات صلة بالواقع؟ ولا ننسى أَهميَّة السِّيَاق الثَّقافي ومكانة الفلسفة فيه، ومنه تَتشكَّل آلِيَّات ووحدات ومُستويات الطَّرح الفلسفي، سواء في البرنامج المدرسي أَو على المستوى الجامعي، وحتّى على مستوى إنشاء وحداتٍ مُميَّزةٍ لفلسفة الإدارة العامَّة [٢].

---

(1) Ongaro, Edoardo. (2020), Philosophy and Public Administration: An Introduction (Second Edition), Cheltenham:Edward Elgar Publishing,p258.

(2) Ibid., p 286.

المبحث الثَّالث

القيادة الأَخلاقيَّة لدى الموظَّف العام وحدة مشتركة بين الثَّقافات.

نَستعرض ما قدَّمه رادشيلدرز (Raadschelders,2020) في طرحه المتعلِّق بالجوانب الأَخلاقيَّة التي يجب أَن يتحلَّى بها الموظَّف العام أَو "الموظَّف المدنيّ" كما يصفه، ويعود بنا إلى الجذور التَّاريخيَّة لِهذا الاهتمام ودوره في استقرار الحُكومات عبر التَّاريخ، ويؤكِّد على وحدة التَّركيز على الجانب الأَخلاقيّ لدى الموظَّف العام كضرورة داخل البناء العام للدَّولة عبر جميع التَّقاليد القديمة والمُعاصِرة، حيث تبيَّن عند دراسة تقاليد الخدمة المدنِيَّة، غالبًا ما يقارن العلماء بين التَّقاليد الشَّرقيَّة الكونفوشيوسيَّة والتَّقاليد الغربيَّة الويبريَّة(Weberian). وأَقدم التَّقاليد الأَخلاقيَّة التي وصفت الموظَّف العام المثاليّ هي ذات أَصل (شرق) آسيويّ، والأَكثر شهرة هي الكونفوشيوسيَّة، والتي تؤكِّد على القيادة الأَخلاقيَّة كشيء يمكن تعليمه، ويحدِّد الحاكم ما يتوقَّع من الموظَّف المدني "الفضيل" القيام به ، وكلَّما كان الحاكم أَكثر فضيلة؛ كلَّما كان العاملون معه أَكثر فضيلة، ومن الفضائل التي تمَّ التَّركيز عليها، الإنسانية والاحترام، والولاء، والحكمة، ويعتبر الإداري العام في المقام الأَول خبيرًا في المعايير الأَخلاقيَّة، وفي المقابل تعمل امتحانات الخدمة المدنِيَّة على ضمان الجودة الأَخلاقيَّة لِلمرشَّحين، وتم تقديم الامتحانات الكتابيَّة عامّ ١٦٥ قبل الميلاد في الصين [1].

وعلى الملك الحكيم الذي لا يشارك تقريبًا في الحكم ويعتمد على قدرات الحكم الذَّاتي للنَّاس ويُحذِّر من الرَّشوة والتَّملُّص من المسؤولِيَّات والتَّحزُّب، ويعتبر شن بوهاي (Shen-Buhai) مستشار دولة هان الصينية (٣٥١-٣٣٧ قبل الميلاد) أَنَّ امتحانات الخدمة المدنِيَّة مهِمَّة، وكان الفيلسوف الصيني هسون زو(Hsün-zu) (٣١٣-٢٣٨

(1) Raadschelders, J. C. N. (2000, November), Administrative History of the United States, Journal: Administration & Society, 32(5) 1-10.

قبل الميلاد) هو من أشار إلى أَنَّ أَيّ موظَّف مدنيّ يجب أَن يتمتَّع بِالفضيلة والخبرة التِّقنية. ويتَّضح أَنَّ الفكر الصيني القديم حول الموظَّف المدنيّ المثالي كان يُركِّز في البداية على الأَخلاق، والتي تم تعزيزها في القرون اللَّاحقة بالاهتمام بالتِّقنيَّات الإداريَّة والقواعد والقانون، وتمَّ التَّحوُّل من الاهتمام بالقانون في مجال الإدارة العَامَّة إلى مصطلح السِّياسة العَامَّة (Public Policy) في الفكر المُعاصِر. ونصائح مشابهة لتلك التي وجدت في النُّصوص المصريَّة يمكن العثور عليها في أَلواح الطِّين الرَّافدين(Mesopotamian clay tablets) كأَحد الأَمثلة، من فترة الآشوريين المتأخرين (من القرن التَّاسع إلى السَّادس قبل الميلاد) بعنوان "نصيحة إلى الأَمير" النَّص كُلَّه يدور: "حول الحفاظ على علاَّقات عادلة وسليمة مع النُّبلاء والمواطنين والأَجانب واحترام ممتلكاتهم، وإذا لم ينتبه الملك إلى العدالة ، فسوف يلقى شعبه بالفوضى وإذا لم ينتبه إلى عدالة أَرضه، ملك الأقدار سيُغيِّر مصيره، وإذا لم ينتبه إلى نبلائه، ستقصِّر حياته "(Lambert, 1960, p113).

ويبدو أَنَّ البُوذِيَّة، التي يعود تاريخها إلى القرنين السَّادس والخامس قبل الميلاد، تشترك في الكثير من القواسم مع الكونفوشيوسيَّة، ويمكننا أَن نقرأ في تعاليم بوذا: "إذا أَهمل وزير دولة مهام واجباته، أَو عمل لِمصلحته الشَّخصيَّة، أو قبل الرشوة، فسيؤدِّي ذلك إلى تدهور سريع في الأَخلاق العَامَّة في ظل هذه الظروف، وتصبح قوَّة الحُكومة غير فعَّالة وتنهار سياساتها الصَّالحة، وهؤلاء المسؤولون الظَّالمون، هم لصوص سعادة الشَّعب، ومع ذلك فهم أسوأ من اللُّصوص؛ لأَنَّهم يخدعون كُلًّا من الحاكم والشَّعب، وهم سبب مشاكل الأمَّة" (Jordan & Gray, 2011, p110).

وتُولِي الفلسفة الإسلاميَّة أَهمية كبيرة للعمل، كقيمةٍ أَخلاقيَّةٍ واجتماعيَّةٍ أَساسيَّةٍ، وقد حثّ الإسلام على العمل في العديد من الآيات القرآنيَّة والأَحاديث النَّبويَّة الشَّريفة، وأَهتم فلاسفة مسلمون بمفهوم الحثّ على العمل منهم، الإمام الغزاليّ(١٠٥٨-١١١١م) ،

حيث ركَّز الغزاليّ في كتابه (إحياء علوم الدِّين،١١٠٢م) على مفهوم "الحثّ على العمل" وبيّن أَهمِّيته في الإسلام، وشرح شروط العمل الصَّالح المُتضمِّنة، الإخلاص والمتابعة والمحاسبة – أَيّ أَن يتابع الإنسان نفسه على أَعماله ويراجعها باستمرار، ويُميِّز بين العمل المقبول والمردود أَي الفاسد – واهتمّ ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) في مقدّمته(١٣٧٧م) بتحليل العوامل الاقتصادِيَّة والاجتماعِيَّة التي تُؤثر على العمل، وبيّن دور العمل في بناء الحضارات. وتُقدِّم الفلسفة الإسلاميَّة نظرة مُتكاملة لمفهوم العمل، وتُؤكِّد على أَهميَّته كقيمة أَخلاقيَّة واجتماعيَّة أَساسيَّة، وقد أَسهمت مفاهيم الحثّ على العمل في الفلسفة الإسلاميَّة في تشكيل ثقافة العمل في المجتمع الإسلاميّ، وجعلت العمل مُحرِّكًا لِلتَّنمية والتَّقدُّم. وتُعنى الفلسفة الإسلاميَّة بِمفهومين أَساسيَّين، "الإتقان والتَّقوى" وتعني التَّقوى، الالتزام بتعاليم الله تعالى والابتعاد عن المُحرَّمات واستشعار المراقبة الذَّاتيَّة في انجاز العمل واتقانه وربطه بالمراقبة الإلهيَّة له، ويُعدّ الإتقان قيمة أخلاقية واجتماعية أساسية في الإسلام فقد حثَّ الإسلام على العمل بجد وإتقان، وربط بين العمل الصَّالح والأَجر من الله تعالى، ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى:" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" { سورة التوبة: ١٠٥}. وكما يُؤكِّد الإسلام على أَهميَّة إتقان العمل، ووجوب بذل الجهد الكامل في إنجازه ، فالعمل المُتقن هو الذي يُرضي الله تعالى ويُفيد المجتمع، وتُعزِّز التَّقوى الالتزام بتعاليم الله تعالى والابتعاد عن المُحرَّمات ، فالمُتَّقي هو من يخشى الله تعالى ويتَّقيه في أَقواله وأَفعاله، وتُعدّ التَّقوى أَساس الإيمان، فلا إيمان بدون تقوى، ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى:"يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" {سورة الأعراف: ٢٦} ويُمكن تطبيق الإتقان والتَّقوى، في استخدام الموارد بكفاءة وتجنُّب الإسراف، واستخدام الموارد في أَفضلّ طريقة ممكنة.

وهل لِلدِّين مكان في معالجة التَّحدِّيات العَامَّة؟ تمَّ طرح هذا السُّؤال لِمناقشة أجرتها هيئة التَّدريس في كليَّة هارفارد كينيدي(Harvard Kennedy School faculty) مؤخَّرًا ، وكان الجواب من المرجَّح جدًا أن يكون بِالإيجاب، حيث كان المنظور القديم السَّائد لِلإدارة العَامَّة يفترض وجود طريقة عالميَّة واحدة لتنفيذها، وإنَّ الإدارة العَامَّة غير مرتبطة بالسِّياق، وأَنَّ ما يُطبق حاليًا كإدارة عامَّة عالميَّة هو النَّهج الوحيد والمطلق، ويتطلَّب تجاوز هذا المنظور الاعتراف بوجود نماذج مختلفة وصحيحة للإدارة العَامَّة وهذا بدوره يعني، أَنَّه لا يوجد أَفضل نموذج عالميّ واحد (لِلتَّطبيق العملي) للإدارة العَامَّة، بل إنَّ ما نسميّه الإدارة العَامَّة العالميَّة، هو في الواقع إدارة عامَّة غربيَّة، وهناك عدَّة مشاكل جوهريَّة في هذا المنظور أولاً، يفترض ضمناً تقاربًا عالميًا، أَيّ أَنَّ جميع الدُّول ستتَّجه في النِّهاية نحو نفس النمَّوذج العالميّ لِلإدارة العَامَّة، ولكن هذا افتراض جزّيء، خاصَّة وأَنَّ مفهوم "الإدارة العَامَّة الجيدة" يعتمد بشكل واضح على السِّياق السِّياسي والاجتماعي والثَّقافي لِكُلّ دولة وعلى سبيل المثال، قد لا تنجح بالضَّرورة مُمارسة إداريَّة أَثبتت نجاحها في مدينة معيَّنة بالولايات المُتَّحدة الأَمريكيّة عند تطبيقها في مدينة أُخرى ذات سياق مختلف تمامًا؛ لِذلك هُناك حاجة ماسة لإعادة التَّفكير في النَّموذج العالمي للإدارة العَامَّة، بدلاً من فرض نموذج واحد يناسب الجميع، ويجب أَن نتحرَّك نحو الاعتراف بالتَّنوُّع في المُمارسات الإداريَّة النَّاجحة حول العالم، سواء أكانت غربيَّة أم غير غربيَّة، وإنَّ تطوير نماذج إدارة عامَّة تستند إلى السِّياق المحلّي وتستفيد من نقاط القوَّة المحلّيَّة، هو أفضل طريق لتحقيق الإدارة العَامَّة الفعَّالة والرَّشيدة[١].

(1) Drechsler et al.2023, Islamic public administration and Islamic public value: Towards a research agenda, Public Policy and Administration, Special Issue: Religion and Public Administration, https://doi.org/10.1177/09520767231201799, pp2-4.

والتَّقليدان الأَكثر أَهميَّة لِلإدارة العَامَّة غير الغربيَّة الموجودان حاليًّا، أَيّ تلك التَّقاليد التي تُشكِّل تحدِّيًا حقيقيًّا لِعالميَّة النَّهج العالميّ- الغربيّ، هُما الكونفوشيوسيَّة والإسلاميَّة، وفي صميم رسالة الإسلام لِلبشريَّة، نجد ضرورة أَخلاقيَّة للفرد (للوصول إلى الفوز) والمجتمع (لِلتَّماسك الاجتماعيّ)، فليس من المُستغرب أَن يرتبط الإسلام ارتباطًا وثيقًا بالصَّالح العام، فإِنَّ التَّعامل مع الإدارة العَامَّة الإسلاميَّة يُشجِّع ويدعم نهجًا أَكثر سياقيَّة ومرونة لِدراسة الإدارة العَامَّة، وهذا مع العلم أَنَّ هناك بعض المبادئ الأَساسيَّة والاتِّجاهات العالميَّة التي تظهر بالفعل ، مع الأخذ في الاعتبار كُلًا من التَّهجين العالمي للإدارة العَامَّة وقضيَّة المنافسة على مستوى المنطقة والنَّموذج ، فإِنَّه لا يزال من المفيد استكشاف عناصر النَّموذج المثالي لِلإدارة العَامَّة الإسلاميَّة، وعلى سبيل المثال، يُركِّز هذا النَّموذج على عدم تفويض المهام أو المبادرات فحسب، بل على مسؤوليَّة إِنجازها، والأَهم من ذلك، المسؤُوليَّة تجاه من يحكمهم[1] ، ويتشارك في أَوجه تشابه مباشرة مع الكونفوشيوسيَّة التي يجادل فوكوياما(Fukuyama) قائلًا: " إِنَّها عقيدة أَخلاقيَّة مصممة لِتعديل سلوك الحكام وتوجيههم نحو مصلحة المحكومين" (Fukuyama,2012,p19).

وكما رأينا ، فإِنَّ المُتَّحدين الرَّئيسيَّين لِلإدارة العَامَّة الغربيَّة العالميَّة ـ والتي هي إِلى حدّ كبير أَنجلو أَمريكيَّة ـ هُما في الواقع نماذج دينيَّة أَو على الأَقل شبه دينيَّة الكونفوشيوسيَّة والإسلاميَّة, ومن أَجل دراسة هذا الأَمر بِشكل أَكبر، قدَّم باحثون في مجال الابتِكَار والحوكمة، فولفجانج دريشلر(Wolfgang Drechsler) وراينر كاتيل(Rainer Kattel) وصلاح شفيق(Salah Chafik, Senior Research Fellow at the UCL Institute for Innovation and Public Purpose (IIPP)) من جامعات

(1) Ibid., pp 5-8.

ومعاهد ومراكز بحثيَّة مرموقة عالميَّة ضمت، جامعة تالين للتكنولوجيا(Tallinn University of Technology) – معهد الابتِكَار والدِّراسات العَامَّة وكليَّة لندن الجامعيَّة(University College London, London, UK) ومركز ديفيس للدِّراسات الروسيَّة والأوراسية (Davis Center for Russian and Eurasian Studies, Harvard University, Cambridge, USA) جامعة هارفارد، وحصلوا على منحة كبيرة نسبيًّا لِدراسة القيمة العَامَّة ـ وهي جوهر السِّياسة العَامَّة المُعاصِرة ـ الإسلاميَّة ، كبعدٍ في الإدارة العَامَّة الإسلاميَّة.

ولا ينفصل عرض الباحث لِلنَّماذج المُتنوِّعة لِلإدارة العَامَّة، بما في ذلك النَّماذج الدِّينيَّة، عن التَّأكيد على دور الفلسفة الأَمريكيّة وأَهميَّتها الجوهريَّة فعلى ضوء هذه الفلسفة، نستطيع فهم أَدوات تُكيَّف وتحاكِي هذه النَّماذج المختلفة، وإثراءها بروح المُمارسة العمليَّة، كما تُسهم الفلسفة الأَمريكيّة في التَّأكيد على قيم السِّياق والواقع، بل وحتَّى الدِّين، عند تحديد ما هو في الصَّالح العام.

تَأويليَّة المقعد الخشبِيّ، وتَقوقعُ الواقع الإدارِيّ العام - خاطِرة الباحث –

اِستنهض الفِكر صفحاتِه المُنكرة والمُنزعِجة من ذلك المقعد الخشبِيّ، لم يَكُن يتحدَّث ولكن كنت أَسمعُه يُنادينا، عليكُم أَن تبقوا مكانكُم جَامدُون صَاغُون لِلعقل الآخر، وما الآخر إلَّا مِثْلُك فهو محاصر ليس بِشيءٍ من صنع الخشب، وإنَّما بشيءٍ أَخفّ وزنًا وأَكثر سوءًا، المنهاج التَّقليدي حُدوده ضيِّقة ومعدوم الرُّوح، ونعود إلى البيت وقد مُلئ نصائح وتوعدات تلزمه بالمقعد الخشبِيّ؛ وأَن لا تصنع من نفسك شيئا آخر، بل أَبقى جامِدًا جمود ذلك المقعد. وهكذا اِرتحل بعد أَن نجح في اختبار المقاعد الخشبِيَّة إلى مُدرّجات الجامعة الأَكثر تماسكًا وجمودًا؛ فهي تحمل أَعباء المعرفة وقِلّة التَّنوُّع، مُستمِرًّا في التَّقليد؛ لِيخرج إلى سوق العمل صانِعًا لِلمقاعد والمُدرّجات، وقد يسعى جاهدًا لِلتَّغيير بعد أَن سمع هذه الكلمة ولم يُدرِكها؛ فهو مُقيَّدٌ بِأَفكاره المُغلقة، لِتُصبح نِداءاتُه

صرخات في وادٍ قاحلٍ، وأَوراقُه المُتناثِرة أَفكاراً لا ترى النُّور، ونصائِحُ الجُمود تُطارِده من كُلِّ حدبٍ وصوبٍ، تُحذِّره من مخاطر التَّفلسُف وتُؤكِّد له أَنَّ مصلحته تكمن في الالتزام بالمقاعد الخشبِيَّة، هكذا، يتناقل الجالسون على المُدرَّجات تِلك النَّصائِح فيما بينهم، جِيلٌ بعد جِيلٍ، دون حراكٍ أَو تغييرٍ.

وفي رحلة الباحث إِلى عملاق الشَّمال وبلد الأَحلام، تَربّع على ضفاف أَحد وأَعمق أَنهارِها، والعصافير هامسةٌ بِنبرةٍ مُفعمةٍ بِالأَمل والنِّقاش وبعيدة عن الثرثرة، وفي تلك الطَّبيعة الشَّرحة استطاع الباحث أَن يفهم كلامهم ولكن بِشيءٍ من الصِّراع والمجانفة وبعيدًا عن ما ترسّب في ذهنه من مُعتقداتٍ وأَفكارٍ خلَّفها ذلك المقعد، سمعتهم يُشقشِقون: نحن في الطَّبيعة نفهمُ بعضنا البعض، ونُشارك المعرفة والخبراتِ، ونتحرَّرُ من قيود الجُدران والمقاعد، وننطلقُ بِأَرواحنا وأَفكارنا إِلى آفاقٍ واسعةٍ؛ لنُصبح واحدًا مع عقولنا وشعورنا، ونُؤمنُ بأَنَّ الأَفكارَ الصَّادقةَ والتَّجاربَ المُثمرةَ، هي سبيلُنا إِلى السَّعادةِ والنَّجاحِ.

ومَا أَن غلبتني الذَّاكرة والعودة في الزَّمنِ، حينما فتحت كتاب الفيزياء في الصَّف التَّاسع لأجد صورة لنيوتن بشعره الغزير المُتناثر، ولكِنَّه انْظَر شَكلًا، من تَمسُّكِه بقوانينه الخطِيَّة وأَقل اِنزعاجًا من تقليد العلوم الإِنسانيَّة لِمبادئها. وسريعًا كَأَنَّنا أَنهينا التَّأمُّل والحديث مع الطَّبيعة، وبدنا بِسرد التَّعريفات ومحاولة التَّشبيه المُبتذل لِتلك القوانين لفظيًّا، لِننتقل ونُمثِّلها رياضيًّا قوانين وتركيباتٍ وافتراضاتٍ، مِثاليَّة دون استشعارٍ ولا مُشاهدةٍ للحالة الفيزيائِيَّة ولا فهمها على الأَقل. وكُنَّا نُفضِّل الذَّهاب إِلى المختبر؛ تغييرًا لِلمزاج المكانِي ليس أَكثر؛ لأَنَّه في إِمكانِيَّاته لا يمكنه أَن يكسر حالة الجُمود الفِكريّ، فَكُلُّ شيءٍ قد استقرَّ ولكن بطريقةٍ خاطئةٍ وحشوةٍ للعقل، ولو بقي فارِغًا لكان ذلك من الفضل علينا، بدلًا من ملئه هياكلَ معرفيَّةً جوفاء. ومَا أَجمل دراسة التَّاريخ؛ ولكن كانت ضَيِّقةً تِلك السَّردِيَّات وخانقةً لِمجال التَّحليل والتَّعليل. وما نَملِكُه من مخزُونٍ

معرفيٍّ في اللُّغة أَقلَّ بكثيرٍ مِمَّا نَملِكُه من أَدواتٍ لِضبط ذات اللُّغة، مُفارقةٌ أَستطيع وصفها بالمهزلة. وحتَّى على مستوى التِّكنولوجيا، نتغنى بالمعرفة التِّكنولوجيَّة ونحن بعيدون عنها بُعدنا عن ابتِكَارها، ونجد غِيابًا في التَّركيز على مجالاتٍ ومتابعةٍ لِحيثِيَّات الدَّقيقة، ونسلُك فيها سلوك المشاهد والمُتصفِّح، لا سلوك المُبدعِ والمُبتكرِ. ومات ذلك الشُّعور كُلّه، وسدت مكانه اللَّامُبالاة، لا نخاف من أَيّ فايروسٍ يُهاجمنا؛ فنحن قد تَخلَّلنا فايروسًا فكريًّا صنعناه بِأَنفُسنا وغيابنا عن الفكر والفهم الصَّحيح لِلواقع.

وها قد دخلت تلك المقاعد والمُدرَّجات الجامِدة إلى الخدمة العَامَّة أَن توفّر لها، ووجدت أَمامها أَماكن جاهزة لِتثبّتها، وكُلٌّ على قياسه وحسب طوله أَو قصره في كُلِّ شيءٍ إلّا الفكر، ونزلت تلك المقاعد إلى الميدان مُصدِّرةً ضَجَّةً مُزعِجةً، تُحطّم ما كان موجودًا وتبدُّله بِأَقلَّ منه جودةً وصنعًا، رافعين شعار الإنجاز؛ ولكن الكثير من الامتعاض يحيط بنا، وما علينا إدراكُه أَنَّنا حلقاتٌ متكاملةٌ من التَّأَخُّر والتَّقليد، ووجب علينا الالتفات إلى إدارةٍ عامَّةٍ جيدةٍ؛ مُحوَّلة الاستهلاك إلى إنتاجٍ، والتَّقليد إلى ابتِكارٍ، بعد أَن نُولي من هم ريادِيون في مجالاتهم وقياسًا على مخرجاتهم وعودةً إلى الفلسفة والفهم الدقيق للواقع وسياقاته، وإنزال التَّحدِيات وإبراز الإيجابيات، ورسم إدارةً عامَّةً منبثقةً من المسؤُوليَّة الاجتماعِيَّة والأَخلاقيَّة والنَّظرة المُستدامة.

الخَاتِمَة – النَّتائِج والتَّوصِيَات:

بَاتَ من الجَلِيّ أَنَّ الإدارة العَامَّة قد حَازت على مكانةٍ رفيعةٍ في رحلةِ الفكرِ الإنسانِيّ، ونَالت اِهتمامًا خاصًّا من قبل المُفكّرين، فقد أَدركُوا أَنَّها بِمثابة الرَّكيزةِ الأَساسِيَّة لِنشاطاتِنا، والحلقة المُوصِّلة بين الحُكومة والمجتمع، والبُوصلَة التي تُرشِدنا نحو خدمة الإنسان العاقل والمُفكِّر والمُتفاعل، ولقد اِزدادت أَهميَّة الإدارة العَامَّة لِمَا تضطَلِع به من مهامٍّ جِسامٍ، فهي الخادمة الأَمينة للمجتمع، والمُوكّلة بتنفيذ السِّياسات العَامَّة بِحكمةٍ واتِّزانٍ.

وأَسهمت الدِّراسَة في بلورة مفهومٍ لِلإدارة العَامَّة الرِّيادِيَّة والابتِكَاريَّة، مُستمدًّا من القيم والمبادئ الرَّاسِخة في الفلسفة الأَمرِيكيَّة، كَما أَنَّها قَدَّمت أَدواتٍ عمليَّةٍ ومساراتٍ فكريَّةٍ؛ لِتمكين القَادة من تطبيق هذا المفهوم في مُمارساتِهم الإداريَّة، وتحقيق التَّميُّز والابتِكَار في مُختلف المجالات.

وتَوصَّلت الدِّراسَة إِلى العديد من النَّتائِج والتَّوصِيات المُهِمَّة حول دور الفلسفة الأَمرِيكيّة في صناعة وتوجيه الإدارة العَامَّة نحو الرِّيادَة والابتِكَار، وتَكمن أَهميَّة الفلسفة الأَمرِيكيّة في تقدِيمها إِطارًا نظريًّا وعمليًّا متينًا لِفهم ماهِيَّة الإدارة العَامَّة وأَهدافِها ووظائِفها، كَمَا تُساعِد في تحديد القيم والمبادئ التي تُرشد مُمارسات الإدارة العَامَّة، ودورها في تحليل التَّحدِّيات المُعقَّدة، مثل الفساد وعدم المُساواة والبيرُوقراطيَّة، وعَزَّزت دور الأَخلاقِيَّات في الإدارة العَامَّة مُتضمِّنةً إِطارًا مُعاصِرًا ومُتجدِّدًا لِفهم مبادئ الإدارة العامة. ودور الفلسفة الأَمرِيكيَّة ومناهجها واضحًا في بناء قُدرات المُوظَّفين العُموميّين في تطوير مهارات التَّفكير النَّقدِيّ وحلّ المُشكِلات واتِّخاذ القرارات؛ مِمَّا يُسهِم في تحسين أَدائِهم وفَعَّالِيَّتهم. ويُمكِن إِبراز بعض النِّقاط المُهِمَّة التي تَمَّ التَّوصُّل إِليها في الدِّراسَة وتَشمل ما هو آتٍ :

- أَهميَّة تَبنِّي نهجًا مُتعدِّد التَّخصُّصات في دراسة الإدارة العَامَّة، وتُشير الدِّراسَة إِلى أَنَّ الإدارة العَامَّة هي مجالٌ مُعقَّدٌ يَتطلَّب فهمًا مُتعدِّد التَّخصُّصات، بِمَا في ذلك الفلسفة والعلوم الاجتماعِيَّة والسِّياسيَّة والاقتصادِيَّة.
- ضرورة ربط الفلسفة بالواقع العملِيّ لِلإدارة العَامَّة، ولا يكفي مُجرَّد دراسة الفلسفة بِشكلٍ تجريديٍّ، بل يجب ربطها بالواقع العملِيّ لِلإدارة العَامَّة من خلال دراسة الحالات والنَّماذج الواقعِيَّة، والفلسفة الأَمرِيكيّة رائدة الفلسفات في هذا الشَّأن.
- أَهميَّة تعزيز الحِوَار بين المُشتغِلين في الفلسفة والمُمارسين في الإدارة العَامَّة، ويُمكن تعزيز التَّقدُّم في مجال الإدارة العَامَّة من خلال تعزيز الحِوَار بينهم في هذا المجال،

ويَأمُل الباحث أن تُسهِم نتائِج هذه الدِّراسَة في تحسين مُمارسات الإدارة العَامَّة وتعزيز قُدرتِها على مواجهة التَّحدِّيات المُعقَّدة في العصر الحديث.

ويُؤكِّد الباحث على تعدُّد مُرتكزات مفهوم "الإدارة العَامَّة الرِّياديَّة والابتِكَار" في الفكر الأَمرِيكيّ، والتي تَجسَّدت في البراجماتِيَّة بِكافَّة أَشكالِها، وكما أَضفت الفردِيَّة تأكِيدًا على أَهميَّة الفرد وحُرِّيته، وشَجَّعت على روح المُبادرة والابتِكَار، وفكرة اللَّامركزِيَّة قدَّمت أَهميَّةً في توزيع السُّلطة والمسؤُوليَّة على مختلف مستويات الإدارة، وجاءت الرَّكيزة الأَساسيَّة المتمثلة بالمسؤُوليَّة الاجتماعِيَّة مُراعاةً لِمصالح المجتمع في جميع قرارات الإدارة، بالإضافة إلى هذه الرَّكائِز الأَساسيَّة، يُمكن الإشارة إلى بعض العوامل الأُخرى التي ساندت الباحث وأَسهمت في إبراز مفهوم "الإدارة العَامَّة الرِّياديَّة والابتِكَار في الفلسفة الأَمرِيكيّة"، مُمثّلةٌ في الحُلم الأَمرِيكيّ الذي يُعدُّ من أَهمّ القيم الأَمرِيكيّة، ويُشير إلى إيمان الأَمرِيكيّين بإمكانِيَّة تحقيق النَّجاح من خلال العمل الجادِّ والابتِكَار، وعامل الثَّقافة التَّنافسيَّة بِقالبٍ من التَّشارُكيَّة الذي شكَّل سِمةً من أَهمِّ سِمات المجتمع الأَمرِيكيّ، وهذه الثَّقافة قد ساعدت الإدارات العَامَّة إلى السَّعي الدَّائم لِتحسين أَدائها وكفاءَتِها، وتقديم خدماتٍ أَفضل للمواطنين، ويُمكن للباحث القول بِأَنَّ مفهوم "الإدارة العَامَّة الريادية والابتِكَار" قد نَشأ نتيجة لفهم العديد من العوامل الفلسفيَّة والثَّقافيَّة والاجتماعِيَّة داخل البيئة الفِكريَّة الأَمرِيكيّة وفلسفتها.

وشَهِد مفهوم الإدارة العَامَّة تَغيُّراتً جذرِيَّةً وتَحوُّلًا من مفهومٍ تقليديّ يُركِّز على المَهامّ والرُّوتين إلى مفهوم مُعاصِرٍ يُعلِي شَأن الرِّيادَة والابتِكَار، وشملت هذه التَّغيُّرات الانتقال من البيرُوقراطيَّة إلى المُرونة والتَّفويض، ومن التَّركيز على الدَّاخلِ إلى التَّركيز على الخارج حيث كانت الإدارة العَامَّة سابقًا تركَّز بِشكلٍ أَساسيٍّ على احتياجاتِها الدَّاخليَّة، أَمَّا الآن، فقد أَصبح هُناك تركيز أَكبر على احتياجات المجتمع ككُلٍّ، وبالانتقال من نهج الإدارة إلى فنِّ القيادة، وفي أَخذ القطاع العامّ كَمجالٍ اختصاصِيّ إلى الحوكمة

وتوسيع مفهوم الإدارة العَامَّة لِيشملَ جميع قطاعات المجتمع، بما في ذلك القطاع الخاصّ ومُنظَّمات المجتمع المدنِيّ(التآزر والتَّقدُّم لِلمُؤسَّسات؛ نظرة شاملة).

المراجع والمصادر العربية

١. إسماعيل، صلاح، البراجماتية الجديدة: فلسفة رورتي، القاهرة: المجلس الأعلى، ٢٠١٣.

٢. البار، عبد الحفيظ ، القراءة البراغماتية للنظريات التربوية الكلاسيكية من خلال الفيلسوف جون ديوي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد ٦ العدد ٢ والصفحات: ٩١-١٠٣ ، (٢٠١٦) (تم الدخول بتاريخ 2/1/2024) https://www.asjp.cerist.dz/en/article/98539

٣. جديدي، محمد ، براغماتية ريتشارد رورتي السياسية: بين اليوتوبيا الليبرالية والمنحى الساخري، مجلة تبيَّن، المجلد ١١ والعدد ٤٧ والصفحات: ١٣-٣٧، (٢٠٢٢) (تم الدخول بتاريخ 15/2/2024)

https://tabayyun.dohainstitute.org/ar/issue042/Documents/Tabayun42-2022_djedidi.pdf

٤. جعفر، نوري، جون ديوي حياته وفلسفته، بغداد: مطبعة الزهراء،١٩٥٤.

٥. ديوي، جون، الديمقراطية، ترجمة الدكتور متى عفراوي وزكريا ميخائيل، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٤٦.

٦. ديوي، جون، المدرسة والمجتمع، ترجمة الدكتور أحمد حسن الرحيم، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة،١٩٨٧.

٧. ديوي، جون، الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيري حماد، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة،٢٠٠١.

٨. ديوي، جون، إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط١، (٢٠١٠) (أ).

٩. ديوي، جون، المنطق نظرية البحث، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة: المركز القومي للترجمة، (٢٠١٠) (ب).

١٠.ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة محمد لبيب البنجيحي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، (٢٠١٤) (أ).

١١.ديوي، جون، الحرية والثقافة، ترجمة أمين مرسي قنديل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠١٤) (ب).

١٢.شهيرة، شرف، تأويل رورتي لمفهوم الحقيقة الموضوعية: وصاية من نوع جديد، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، ١٠المجلد ١٠ العدد ٢ والصفحات: ١٨٥٩-١٨٩١، (٢٠١٣). (تم الدخول بتاريخ 22/2/2024)

https://aauja.yu.edu.jo/IMAGES/DOCS/V10N2C/V10N2CR6.PDF

المراجع والمصادر الأجنبية

1. Asen, R. (2003), The Multiple Mr. Dewey: Multiple Publics and Permeable Borders in John Dewey's Theory of the Public Sphere, *Argumentation and Advocacy*, 39(3)174 - 188.
2. Dewey, J. (1899), The school and society: Being three lectures, Chicago: Uni Chicago.
3. Dewey, J. (1909), Moral principles in education, Houghton: Mifflin.
4. Dewey, J. (1910), The child and the curriculum, Chicago: University of Chicago Press.
5. Dewey, J. (1921), China, Japan and the USA, New York: Republic Publishing Co.
6. Drechsler et al.2023, Islamic public administration and Islamic public value: Towards a research agenda, Public Policy and Administration, Special Issue: Religion and Public Administration, https://doi.org/10.1177/09520767231201799.
7. Evans, K. (2000), Reclaiming John Dewey: Democracy, inquiry, pragmatism, and public management, Administration & Society, 32(3), 308-328.

8. Evans, K. (2001), More Democracy, Not Less, in Twenty-First- Century Governance: Dewey's Ethics and the New Public Management, *Public Integrity,* 3(3) 262 – 276.
9. Fukuyama, F. (2012), The patterns of history, Journal of Democracy ,23(1) 14–26.
10. Jordan, S.B., & Gray, Ph.W. (2011),The Ethics of Public Administration. The Challenges of Global Governance, Waco, TX: Baylor University Press.
11. Lambert, W.G. (1960), Advice to a Prince, Babylonian Wisdom Literature (pp. 110-113). Oxford: Clarendon Press.
12. Novack, G. (1975), Pragmatism versus Marxism: An appraisal of John Dewey's philosophy,Pathfinder Press.
13. Ongaro, Edoardo(2009),Public Management Reform and Modernization, Cheltenham : Edward Elgar Publishing Ltd.
14. Ongaro, Edoardo .(2019, June), Bringing philosophy into public administration: A research agenda. In TAD 14 The Disciplines and the Study of Public Administration: Transatlantic Perspectives in the Margin of the 14th Administration and Public Management International Conference, Bucharest, June 6-18 2018.
15. Ongaro, Edoardo. (2020), Philosophy and Public Administration: An Introduction (Second Edition), Cheltenham:Edward Elgar Publishing.
16. Ongaro, Edoardo(2021),Non-Western philosophies and public administration,Asia pacific Journal of Public administration,43(1)6-10.
17. Raadschelders, J. C. N. (2000, November), Administrative History of the United States, Journal: Administration & Society, 32(5) 1-10.
18. Rorty, R.(1989),Contingency,irony,and soliderity,USA:Cambridge University Press.
19. Rorty, R.(1998), Achieving our Country: Leftist Thought in Twentieth–Century American, 2nd ed. Cambridge, MA: Harvard University Press.

20. Rorty,R.(1999), Philosophy and Social Hope ,New York: Penguim Books.
21. Snider, K. F. (2011), On the problem of adopting pragmatism in public administration, Administration & Society, 43(1) 133-141.
22. Whetsell, Travis & Shields, Patricia. (2011), Reconciling the Varieties of Pragmatism in Public Administration, Administration & Society - ADMIN SOC, 43(4) 474-483.
23. Wilson, J. Q.(1989), Bureaucracy: What Government Agencies Do and why They Do it, Basic Books.